الى القارىء

هذا العدد الأول من السنة السابعة عشرة أردناه خاصا بالدراسات الايرانية مشاركة للشعب الايرانى فى احتفائه بمرور 2500 سنة على إعلان ملكه كورش لحقوق الانسان . وهى أول وثيقة عثر عليها الأثريون وتضمنت الخطوط الأولى لحق الانسان فى الحرية والمساواة والعيش الكريم مهما تغايرت أديانه واختلفت جنسياته ، علما منا بأن هذه الحقوق التى كافحت الشعوب من أجل تحقيقها الأحقاب تلو الأحقاب وأبرزها الفلاسفة والمفكرون وتغنى بها الخلاقون فى أكثر من فن ، ما زالت بالنسبة للانسانية مطمحا عسير التحقيق وغاية تحول دون بلوغها المطامع وألوان الاستعمار .

وهى فرصة أيضا لاطلاع القراء الكرام على جانب من حضارة الشعب الايرانى الشقيق ، العريق فى المجد ، الراسخة اركانه فى أشع المدنيات صولة وفنا وأدبا وذلك بما قدمه للانسانية من رائع الشعر وغزير العلم والطب ، وبديع العمران ، ورقيق الفن ، وحكيم السياسة . وإنه لشرف للشعب الايرانى أن يحتضن مثل عمر الخيام والبيرونى والرودكى والرازى والفردوسى وغيرهم .

وإنه لشرف أيضا للأمم الاسلامية قاطبة أن تنظر فيما أتاحته للانسانية حضارة الاسلام بما حققته من صهر لشعوب كثيرة كانت متنافرة متحاربة متقاتلة فمكنتها من التآخى والتلاحم وجعلت من حضاراتها المختلفة حضارة واحدة متعددة الألوان غزيرة المعانى متنوعة الثقافات .

وكان حظ الثقافة الفارسية فى تطعيم الحضارة العربية الاسلامية الناشئة فى أول أمرها حظا كبيرا بما وفرته للفكر العربى من أفذاذ أثروا الأدب شعرا ونثرا وما أتاحته للطب من عباقرة كان لهم شأن وأى شأن فى العالم آنذاك وما أقامته من بديع العمران على يد فنانيها بقى الى اليوم يشهد بالـذوق السليم والتقنية الحكيمة ٠

كما كان حظ الثقافة الايرانية من الحضارة الاسلامية حظا كبيرا أيضا مما شد الشعب الايرانى الى البوتقة الاسلامية شدا وجعلـه لا ينفصل عنها لا فى تفكيره ولا فى أنماط حياته وعريق عاداته ٠

كل هذا يجعل من هذه المناسبة فرصة ليطلع القراء على ما يربط بيننا وبين الشعب الايرانى من وشائج الدين والفن والأدب وهى الى ذلك محاولة للنظر ولو بصورة عابرة الى التأثيرات الفارسية فى ثقافتنا التونسية وهو ما ابرزه ثلـة من علمائنا فى هذا العدد ٠

فعسى أن يساهم هذا العدد فى مزيد التعريف ببلد اسلامى شقيق وتوثيق أواصر الأخوة والتعاون بين الشعبين : التونسى والايرانى ٠

الفكر

ملاحظة : أدرجنا مقالات هذا العدد بالاعتمـاد على تـرتيب حـروف الهجاء بالنسبة لأسماء أصحابها ٠

بعض مؤثرات ايران القديمة
فى فن العمارة بافريقية

ابراهيم شبوح

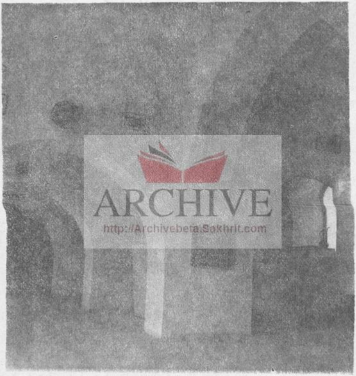
انتهت البحوث الأثرية مجمعة على أن الفن الساسانى من أعظم الروافد التى غذت الفن الاسلامى فى نشأته الاولى ، وسريت فى عروقه وهو يمتد على رقعة الامبراطورية الاسلامية الشاسعة .

واذا كان هذا الفن العريق الذى أزهر فى ربوع الاكاسرة قد وهبتــه روح فارس كل ما أبدعه فنانوها المرهفون ، فقد أعادت الحضارة الاسلامية الدافقة صوغه ومزجه مع ما انصهر فيها من فنون حضارات أخرى ، ثم أخرجته من حدوده القديمة ونشرته فى مجال أوسع وأبقى .

لقد كانت الفنون الايرانية ذات خصائص واضحــة ومتميــزة فى مختلــف عصورها الاسلامية وغير الاسلامية ، وإن المختصين لم يفتأوا يثيرون القضايا المتنوعة حول هذا الفن وأثره ، بعد أن توفرت الدراسات المخبــرية الــدقيقة والحفريات العلمية والمقارنات الواسعة على إثراء بحــوثهم المحــددة فى جميــع جوانب الفنون الايرانية وعصورها .

لذلك سيكون إسهامنا بهذا البحث الموجز محــاولة الكشف عن عنصرين معماريين من فارس انتقلا الى أساليب العمارة فى إفريقية ، وعن طرق هــذا الانتقــال .

يستوقف الباحث فى تاريخ العمارة بافريقية (تونس) عنصر جديد خلفه لنا العصر الاسلامى المبكر فى رباط المنستير الذى أقامه القائد العباسى هرثمة بــن أعيــن سنــة 180 هـ . / 796 م. هــو عنصــر الأقبيــة عــلى العقــود voûtes sur arcades . فقد قسم مسجد الرباط الى بلاطات متعامدة على جدار القبلة، تغطيها أقبية طولية محمولة على عقود جانبية أقل ارتفاعا منها. وهذا الحل المعمارى الموفق والمتطور لتغطية مساحة واسعة بالحجارة ، يبدو كظاهرة نادرة



قاعة مسجد الرباط بالمنستير

لقد حلت الأقبية على العقود مشكلة تغطية المساحة الواسعة بدون أخشاب

ثم نجد لها – في ما نعلم – شبيها في آثارنا القديمة • اين نشأ إذن هذا الحل المعماري ، وكيف وجد طريقه الى إفريقية ؟ إن سبيلنا لمحاولة الاجابة هي أن نستقصي النماذج الباقية ، وهي :

– طاق إيوان بالكرخ (1) – من العصر الساساني • (عرض القبو 1،60 – عرض العقد الحامل 1،48 م – قطاع القبو نصف دائري) •

– قصر الحرانة (2) : تتردد نسبته بين العصر الساساني والعصر الأموي• (عرض القبو 1،19 م – 1،44 م – عرض العقد الحامل 0،80 م – قبو نصف دائري) •

– صهريج حرم القدس (3) •

– قصير عمرة (4) : أموي ، تاريخه بين سنتي 92 – 96 هـ. / 711 – 715 م. (عرض القبو 2،48 م – عرض العقد الحامل 0،70 م – قبو نصف دائري) •

– حمام السراج (5) : أموي • (عرض القبو 2،25 م ، 2،90 م – عرض العقد الحامل 0،55 م – قبو مدبب) •

– قصر الأخيضر (6) : عباسي 159 هـ. / 775 م. (؟) (عرض القبو 1،70 م – عرض العقد الحامل 1،30 م – قبو نصف دائري) •

– صهريج الرملة بفلسطين : عباسي 172 هـ. / 788 م. (عرض القبو 3،82 م – عرض العقد الحامل 0،76 م – قبو مدبب) •

– مسجد رباط هرثمة بالمنستير : (عرض القبو 2،50 م – 3،50 م – عرض العقد الحامل 0،58 م) •

---

(1) Dieulafoy, **L'art antique de la Perse V p. 79-83**

(2) **Jaussen, et Savignac, Les Châteaux Arabes Atlas pl. XXX**

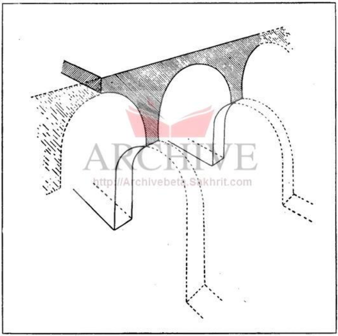
(3) زرته شتاء سنة 1963 ولم أتمكن من رفع مخططه •

(4) **Creswell, Early Muslim Architecture I p. 254**

(5) Creswell, **Ibid I, p. 273**

(6) **Ibid II p. 68 fig 49,50**

(7) **Ibid II p. 161**



منظور قطاع تحليلى للأقبية على العقود (رسم س٠ بلحاج)

ويوضح لنا الاحصاء أن هذا العنصر المعماري ساساني ظهر في طاق ايوان وفي عمائر فارسية أخرى ، وانتقل الى العمارة الاسلامية بواسطة قصر الحرانة ، وهو أول مبنى ظهر فيه ببلاد الشام • وتشير الأمثلة أيضا الى التحول الذي تطور إليه هذا العنصر ؛ فقد كان في مرحلته الساسانية قبوا طوليا voûtes en berceau متقطعا ، وقد غطي ما بين العقود بقبو يقارب عرضه عرض العقد الحامل له ، بحيث يشترك العقد نفسه في تقاسم التغطية مع القبو (طاق الايوان والاخيضر المشبع بالتأثير الساساني) على حين أصبح القبو في الطور الاسلامي هو العنصر الوظيفي في التغطية ، وتقوم العقود الحاملة له كعناصر مساعدة (يلاحظ الفرق بين عرض الأقبية وعرض العقود في النماذج الأموية والعباسية) •

وهكذا سلك هذا العنصر المعماري طريقه الى افريقية مع القائد العباسي هرثمة ، وربما كان معروفا منذ العصر الأموي ، إذ يذكر البلاذري (8) أن القصور التي أقامها حسان بن النعمان عند تراجعه أمام الكاهنة حوالي سنة 80 هـ / 699 م. كانت سقوفها آزاجا •

* * *

وكشفت أعمال الترميم التي أجراها المعهد القومي للآثار في رباط المنستير منذ سنة 1957 ـ مصادفة ـ عن شرفات (Merlons) مسننة تتكون من ثلاث طبقات زواياها حادة تشابه في تكوينها النموذج الموجود في قصر الخليفة هشام بن عبد الملك بأريحا مع اختلافهما في عدد الطبقات •

لقد ظهر هذا العنصر في حضارات الشرق القديم على هيئات مختلفة متولدة من بعضها ، فهناك أشكال متدرجة قائمة الزوايا ؛ وأشكال مسننة حادة الزوايا مصمتة ، وأخرى ذات فتحة في وسطها • ويرى « بريجس » (9) (Briggs) أن أصلها من العراق القديم وهو ما يؤكده « كامرر » (10) (Kammerer) • وقد انتهى بنا التتبع الى إحصاء واسع نقتصر منه هنا على النماذج التالية :

---

(8) البلاذري : فتوح البلدان 270 (القاهرة 1956) •

(9) بريجس : فن العمارة (تراث الاسلام 2 : 146) القاهرة 1936 •

(10) Kammerer, Pétra et la Nabaténe I, p. 477

ـ شرفات قصر برسوبوليس (II) (Porsopolis) من العصر الأخمينى ، قائمة الزوايا نصبت على جانبى درج المدخل •

ـ طبق فضى (I2) من العصر الساسانى مثل عليه بالحفر البــارز حصن فوقه جنود مسلحون يردون غارة لكتيبة من الفرسان ، وشرفات الحصن مسننة ذات ثلاث طبقات بها فتحة رأسية فى الوسط ، قد تكون للرماية •

ـ أمثلة ساسانية قائمة الزوايا كانت على طاق إيوان (I3) •

ـ أمثلة قائمة الزوايا على مداخل طاق بستان (I4) •

ـ مثال زخرفى قائم الزوايا على تاج داريوس (I5) •

ـ شرفات قائمة الزوايا على معبد عمريت بسورية (I6) •

ـ أمثلة على المقابر النبطية بالبتراء والمدائن والحجر ، بعضها زخرفى قائم الزوايا من ثلاث طبقات ، وبعضها يتوج الأضرحة (I7) •

وقد حافظ الأمويون والعباسيون على هذا العنصــر فى شكليــه الــوظيفى والزخرفى ، وعدلوا من نسبه وأبعاده والتزموا الزوايا الحادة التى أضفت عليه مظهر الحركة والرشاقة عوضا عن الزوايا القائمة التى تتلاءم مع وقار المعــابد والمقابر • وعبروا به الى افريقية والاندلس • ونقتصــر هنــا على ذكــر بعض الأمثلة الاسلامية المبكرة ، وهى :

ـ شرفات قصر الخليفة الوليد بن عبد الملك ، بجبل أسيس (I8) •

(II) Pope, Survy of Persian art vol V 58 a

(I2) Ibid II, 1263

(I3) Dieulafoy, op. cit

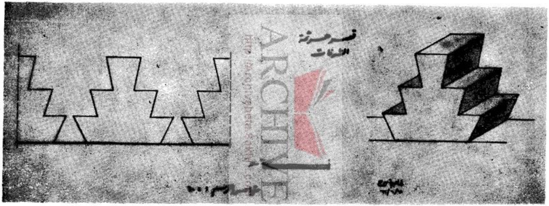
(I4) Pope, op. cit IV 159 b

(I5) Ibid I p. 352 fig 83

(I6) Dunan, et Saliby. Les sanctuaires d'Amrit pl. II

(I7) Kammrer, op. cit I, p. 474 - II, pl. 16,41

(I8) انظر بحث صديقنا ك• بريش: القصر الأموى بجبل أسيس(بالفرنسية) [مجلة الحوليات الأثرية السورية ـ المجلد الثالث عشر ـ ص I35 ـ دمشق I963] •



شرفات قصر هرثمة من أقدم النماذج التى نحتفظ بها

ـ شرفات مدخل قصر الحير الغربى (19) ·

ـ شرفات قصر هشام بأريحا (خربة المفجر) (20) ·

ـ شرفات زخرفية على مدخل باب الأمير أو بـاب دار الامـارة ، داخـل مقصورة المسجد الجامع بالقيروان (21) ·

ـ شرفات كانت على قصر الأخيضر (22) ·

ـ شرفات على المسجد الجامع بقرطبة (23) ·

ـ شرفات رباط المنستير ·

* * *

إن تطور مثل هذه العناصر الفارسية القديمة وغيرها فى مجالات الحضارة الاسلامية وسيرها نحو أصقاع لم ترتدها من قبل ، ليرمز الى روعة التـلاقح الانسانى للحضارات ، ويعيد تأكيد الصفات الروحية والذهنية المشتركة بين البشر ، فى الأحايين التى لا تقف فيها الشعوبيات المنغلقة سدا فى وجه أخوة الثقــافة ·

ا· ش·

---

(19) د· سليم عادل عبد الحق : إعادة تشييد جناح قصر الحيـر الغـربى 40 لوحة 1 ، 3 ·

(20) Hamilton, **Khirbat el Mafjar** pl. XX 2

(21) Bosco, **Médina Azzahra y Almiriya** p. 10 fig 9 a وتتردد البحوث فى نسبة هذا الجزء من جامع القيروان لأعمال بشـر بن صفـوان سنة 105 هـ / 723 م. تقريبا ؛ أو اعتباره من اعمال الأغالبة ·

(22) Creswell, **op. cit II**, p. 65 fig 44

(23) Gomez - Moréno, **Ars Hispaniae III**, p. 33 fig 26

مساهمة في التعريف بتزاوج الأنغام العربية والفارسية وبأهم مسالك الغناء

بقلم : أحمد خالد

• غناء العرب في الجاهلية :

لم ينتحل العرب في الجاهلية صناعة الغناء وانما عرفوا البسيط من التلاحين لغلبة البداوة عليهم ، وترنموا بأصوات متناسبة في « **حداء** » إبلهم ، وسموا الترنم بالشعر « **غناء** » وبالتهليل والقـراءة « **تغبيرا** » ، وعرفوا « **السناد** » وهو مناسبة بسيطة بين النغمات ، فاذا كان موقعا بالدف والمزمار ويـرقص عليه سموه « **هزجا** » .

وهذا البسيط من التلاحين هو في نظر **ابن خلدون** من أوائل الغناء « ولا يبعد أن تتفطن له الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع » (1) ناهيك بان ما اهتدى اليه العرب في بداوتهم من تأليف الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدد حروفها المتحركة والساكنة هو ـ على حد قول ابن خلدون ـ « قطرة من بحر من تناسب الاصوات كمـا هو معـروف في كتب الموسيقى الا أنهم لم يشعروا بما سواه » (2) .

• الغناء في عهد الرسول :

ومع ظهور الاسلام وفي عهد الرسول خاصة تراجع العرب عن هذا المقدار البسيط لشدة الدين « في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ما ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم » (3) .

---

(1) المقدمة ط. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت 1956 ص 770 ـ 771 .

(2) نفس المرجع ص 770 .

(3) نفس المرجع ص 772 .

• دور الفرس في تلقيح الغناء العربي :

ثم جاء الترف وتحول عيشهم من شظف الى نضارة عندما اتصلوا بالأمم المتحضرة وبخاصة الفرس فاستحلوا الفراغ وجودوا الغناء .

والباحث يجد في « كتاب الأغاني » **لأبي الفرج الأصبهاني** وفي مختصره « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني » **لابن منظور محمد بن مكرم** من ثرى المعلومات ودقيقها ما يعينه على تاريخ الغناء العربي منذ نشأته **كصناعة** لا كحداء في صدر الاسلام الى أوان اكتماله وبروز أعلامه .

وليس غرضي هاهنا الاحاطة بهذا التاريخ اذ قصدت فحسب تقديم مساهمة في التعريف بظاهرة حضارية طريفة متمثلة في تلاقح ثقافي بين ضربين أو ثلاثة من لحون الغناء تولدت عنه سنة غنائية عربية حاولت تتبعها من خلال أهم مسالكها وأطوارها بتسلسل سندها .

وما من شك في أن أهم حدث في تاريخ الغناء العربي هو تزاوج ألحانه و **ألحان الغناء الفارسي** في صدر الاسلام ، فولد اللقاح أنغاما جديدة تطورت وتعقدت مع الايام في مدارس أعلام الغناء بالحجاز أولئك الذين اعتنوا بتعليم الريضين الصنعة وبتخريج القيان على مذاهبهم وبتصدير أصواتهم بواسطتهن أو مباشرة بانتقالهم الى مركزي الخلافة بالشام ثم بالعراق ، والى بلاد الأهواز بفارس والى افريقية والأندلس وغيرها .

وكما كان هناك توليد بين الأجسام والعقول أنتج أفكارا ومعاني جديدة أثرت الحضارة الاسلامية كان هناك توليد غنائي نشأ عن تزاوج الأنغام والألحان وأفاد الغناء العربي أيما إفادة .

وفي الامكان معرفة زمن حصول ذلك التزاوج لاول مرة بالرجوع الى فصل موجز ثرى من قسم العلوم أفرده ابن خلدون في مقدمته لصناعة الغناء باعتبارها ظاهرة حضارية وعنصرا من عناصر علمه الجديد علم العمران البشرى الذي يبحث في شؤون البشر من حيث الملك والكسب والصنائع والعلوم . قال ابن خلدون : لما جاء الترف وغلب الرفه على العرب اثر اتصالهم في صدر الاسلام بالشعوب المتحضرة « افترق **المغنون من الفرس والروم** فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات ولحنوا عليها أشعارهم » (4) .

(4) المقدمة ص 770 .

◆ **دور سعيد بن مسجح فى هذا اللقاح :**

وأورد أبو الفرج الأصبهانى خبر تطعيم الغناء الحجازى بأنغام أعجمية فارسية ورومية ويونانية وأفادنا أن ذلك قد تم فى صدر الاسلام بواسطة عبد مكى أسود من فحول المغنين وأكابرهم اسمه سعيد بن مسجح قادته رحلاته الى عديد من الاقطار فكان « أول من نقل **غناء الفرس الى غناء العرب** ثم رحل الى الشام وأخذ **ألحان الروم والبزنطية** (5) **والأسطوخوسية** (6) **وانقلب الى فارس** فأخذ بها غناء كثيرا وتعلم الضرب ، ثم قدم الى **الحجاز** وقد أخذ محاسن تلك النغم » ٠

ويستفاد من هذا الخبر أيضا أن اللقاح الذى تناول الغناء العربى عند اتصاله بأنغام الفرس والروم واليونانيين لم يترتب عنه انسلاخ ذلك الغناء عن أصالته ، بل ان اللقاح ما زاده الا قوة وسماكة اذ ألقى **سعيد بن مسجح** من الأنغام المستوردة « ما استقبحه من النبرات والنغم التى هى موجودة فى نغم **غناء الفرس والروم** خارجة عن غناء العرب وغنى على هذا المذهب ، فكان أول من أثبت ذلك ولحنه وتبعه الناس » (7) ٠

◆ **ظروف أخذه الغناء الفارسى :**

وعن ظروف أخذ سعيد بن مسجح الغناء الفارسى ونقله الى غناء العرب ساق **أبو الفرج** روايتين مختلفتين ٠ أما الاولى فتفيد أن ابن مسجح نقل غناء الفرس لما بنى **معاوية** (من 41 هـ. الى 60 هـ. / 661 — 680 م.) فى مكة دوره التى يقال لها « الرقط » « حمل لها **بنائين فرسا من العراق** فكانوا يبنونها بالجص والآجر ، وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم ، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله الى الشعر العربى ، ثم صاغ على نحو ذلك » (8) ٠

---

(5) البزنطية : اسم للروم نسبة الى بزنطية وهى المدينة التى بنى عليها قستنطين الاكبر سورا وسماها قسطنطينية وهى اصطنبول اليوم ٠ (ياقوت الحموى — « معجم البلدان » المجلد الرابع ص 347 ط٠ بيروت 1957) ٠

(6) أسطوخوس : جزيرة فى جنوبى فرنسا سكانها خليط من الروم واليونانيين والقلطيين وبقايا الفلسطينيين ٠

(7) الأغانى : ط٠ دار الكتب المصرية ج 3 ص 276 — 284 ٠

(8) نفس المرجع و « كتاب مختار الأغانى » ط٠ مصر 1965 ج 4 ص 189 ٠

وأما الرواية الثانية فتقول : « انه مر على **الفرس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربي** ··· واتسع في غنائه وشهر بمكة وأعجبوا به لظرفه وحسن ما سمعوا منه » (9) ·

وقد أعيد بناء الكعبة لما احترقت في زمن **عبد الله بن الزبير** (I هـ. ـ 73 هـ. / 622 ـ 692 م.) الذي ادعى لنفسه الخلافة واستقل في الحجاز فقاومه بنو أمية المستقرون في الشام ·

وكان سبب خرابها « أن أهل الشام لما حاصروه سمع أصواتا بالليل فوق الجبل ، فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا اليه ، وكانت ليلة ظلماء ذات ريح شديدة صعبة ورعد وبرق ، فرفع نارا على رأس رمح لينظر الى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطارت فيها وجهد الناس في إطفائها فلم يقدروا فأصبحت الكعبة تتهافت وماتت امرأة من قريش فخرج الناس كلهم في جنازتها خوفا من أن ينزل عليهم العذاب وأصبح **ابن الزبير** ساجدا يدعو ويقول: اللهم اني لم أتعمد ماجرى فلاتهلك عبادك بذنبي، وهذه ناصيتي بين يديك · فلما تعالى النهار أمن ورجع الناس ، فقال لهم : أينهدم في بيت أحدكم حجر أو يزول عن موضعه حتى يبنيه ويصلحه ، وأترك الكعبة خرابا ؟ ثم هدمها مبتدئا بيده وتبعه الفعلة حتى بلغوا الى قواعدها،ودعا **بنائين من الفرس والروم فبناها فسمع ابن مسجح غناءهم فنقله وغناه** » (IO) ·

ويتبين دارس « كتاب الأغاني » ومختصره أن الغناء العربي بدأ يتطور في الحجاز بفضل جهود ثلة من فحول المغنين من ضمنهم هذا العلم الذي أرسى قواعد الموسيقى العربية وأثرى غناء أهل الحجاز وعقد ألحانه وأذاع طريقته في موطنه وخارجه مباشرة وبواسطة تلاميذه الذين عنى بتخريجهم أمثال **الغريض** و **ابن سريج** وكان هذا التلميذ حسب شهادة أبي الفرج « أحسن الناس صوتا فتعلم (من ابن مسجح) ثم برز عليه حتى لم يعرف له نظير » ·

ومن طبقة سعيد بن مسجح مغن مملوك **فارسي الأصل من فيء كسرى** اسمه « **يسار** » أعتقه بنو ليث وهو « **أول من عمل العود بالمدينة وغنى به** » (II) ·

• دور سائب خائر ونشيط في تطعيم الغناء :

وللمولى **ابن يسار** المشهور بـ « **سائب خائر** » شأن عظيم في تطعيم الغناء

(9) نفس المرجع ·

(IO) الأغاني ج 3 ص 276 ـ 284 ومختار الأغاني ج 4 ص I88 ·

(II) مختار الأغاني ج 4 ص 202 ·

العربى بالأنغام الفارسية (12) وقد مكنه من ذلك **رجل فارسى اسمه نشيط** سمعه سائب خاثر يتغنى فى المدينة فعجب منه سيده عبد الله بن جعفر « فقال له سائب خاثر **أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسى بالعربية** ، ثم غدا على عبد الله بن جعفر فغناه :

لمن الديار رسومها قفر لعبت بها الأرواح والقطر ؟
وخلالها من بعد ساكنها حجج مضين ثمان أو عشر
والزعفران على ترائبه شرقت به اللبات والنحر

وهو أول شعر غنى به فى الاسلام من الغناء العربى المتقن الصنعة . ثم اشترى عبد الله بن جعفة نشيطا بعد ذلك فأخذ عنه سائب الغناء العربى » (13) .

• مدرسة سائب خاثر ونشيط الحجازية :

أ ـ عزة الميلاء :

ويفهم من خبر آخر وارد فى كتاب الأغانى أن **سائبا** و **نشيطا** تزعما مدرسة غنائية **بالحجاز** تخرج منها أكابر المغنين والمغنيات من ضمنهم امرأة حسناء مولاة للأنصار مسكنها المدينة واسمها **عزة الميلاء** « وكانت مطبوعة على الغناء أحسن الناس صوتا بعود . **وهى اقدم من غنى الغناء الموقع من نساء** الحجاز » (14) .

وقد جمعت **عزة الميلاء** بين حسن الغناء وحلاوة الصوت وحسن الضرب وجمال الوجه وظرف اللسان وكرم الخلق حتى لهج بذكرها مشائخ أهل المدينة وبفضلها تطور غناء أهل الحجاز وتعقد بلقاح الألحان الأعجمية التى لقنتها عزة عن سائب خاثر و **نشيط** لما قدما المدينة **وغنيا أغانى الفارسية** .

ب ـ ابن سريج :

والى مدرسة عزة الميلاء وسائب خاثر ونشيط ينتمى **ابن سريج** وكان فى حداثة سنه يأتى المدينة ويتعلم غناء عزة « وكان اذا سئل من أحسن الناس غناء

---

(12) انظر مقدمة ابن خلدون ص 772 .
(13) مختار الأغانى ج 4 ص 202 .
(14) نفس المرجع ج 5 ص 262 .

قال : مولاة الأنصار المفضلة على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء » (15) .

ج ـ طويس :

وعن **عزة الميلاء** أخذ أيضا **طويس** المغنى مولى بنى مخزوم « وكان أكثر ما يأوى (إليها) وكان فى جوارها وكان اذا ذكرها يقول : هى سيدة من غنى من النساء ، مع جمال بارع وخلق فاضل ، واسلام لا يشوبه دنس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، وتنهى عن السوء ، وهى مجانبته ، فناهيك بها ما كان أنبلها وأنبل مجلسها » (16) .

د ـ مسلم بن محرز :

وفى المدرسة الموسيقية العربية الفارسية نجب بالحجاز من الطبقة الثالثة بعد سائب خاثر ونشيط وعزة الميلاء أقطاب فى التلحين والأداء والعزف من بينهم **مسلم بن محرز** « وكان أبوه من سدنة الكعبة **واصله من الفرس** ... وكان يسكن المدينةمدة ومكةمدة وكان يشخص الى **فارس يتعلم ألحان الفرس والى الشام يتعلم ألحان الروم** ، ويسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين ، ويأخذ محاسنهما ، يمزج بعضها ببعض ، ويؤلف منها الأغانى ، **فأتى بما لم يسمع مثله** . وكان يقال له صناج العرب ... وهو أول من غنى بـزوج من الشعر . وعمل بعد ذلك المغنون اقتداء به . وكان يقول : الأفراد لا تتم بها الألحان » (17) .

وبهذا الخبر يتضح أن **مسلم بن محرز** هو أيضا من المغنين المولدين الذين أوجدوا نمطا جديدا من الغناء تولد من تزاوج الألحان العربية والفارسية والرومية ومن تلاقح ثلاث ثقافات وثلاثة أذواق .

هـ ـ تدعم الغناء مع ابن سريج والغريض ومعبد :

ومع طبقة **مسلم بن محرز** ومنها أقطاب التلحين والأداء والعزف **ابن سريج** و **الغريض** و **معبد** ازداد الغناء الحجازى تدعما بلقاح الأنغام الأعجمية (18) فضبطت قواعده وتبلورت مصطلحاته وتعقدت ألحانه حتى احتاج المختصون

---

(15) نفس المرجع .
(16) مختار الأغانى ج 5 ص 262 ـ 263 .
(17) مختار الأغانى ج 6 ص 346 .
(18) مقدمة ابن خلدون ص 772 .

الى اعمال الفكر فى الغناء مراجعة بعض الأصوات المرار العديدة لحفظها (19) .
بيد أن اللقاح الذى لحقه من الغناء الفارسى لم يفقده شيئا من أصالته حسب ما يفهم من الأخبار الواردة فى كتاب الأغانى لان المغنين الذين اقتبسوا اللحون الأعجمية قد هضموها وأخرجوها إخراجا عربيا أسقط منها مالا يناسب أذواقهم .

و ـ تدوين يونس الكاتب للغناء :

ومن مظاهر تدعم **السنة الغنائية العربية** مع الطبقة الثالثة من المغنين الحجازيين والواردين على الحجاز من الفرس جمعه وتدوينه فى كتب بعد أن كان شتاتا . وقد أخبرنا الأصبهانى أن أول من دون الغناء هو **يونس الكاتب** من المدينة « وكان أبوه فقيها فأسلمه فى الديوان ، فكان من كتابه وأخذ الغناء عن **معبد** و **ابن سريج** و **ابن محرز** و **الغريض** . وكان أكثر روايته عن معبد ، وله غناء حسن وصنعة كثيرة وشعر جيد . وكتابه فى الأغانى ونسبتها الى من غنى فيها هو الأصل الذى يعمل عليه ويرجع اليه » (20) .

• الخصومة بين القدامى والمحدثين :

ظل المغنون يتناقلون غناء أعلام المدرسة الحجازية ويسمونه « **الغناء القديم** » حتى جاء **ابراهيم بن المهدى** (162 ـ 224 هـ. / 779 ـ 839 م.) **أخو الرشيد** (مدة حكمه من 170 هـ. الى 198 هـ. / 786 ـ 813 م.) وكان من الطامعين فى الخلافة : فلما آل الأمر الى **المأمون** (من 198 هـ. الى 218 هـ./813 ـ 833 م.) انصرف هو الى الغناء . وكان ابراهيم عالما بالنغم والوتر والايقاعات مطبوعا فى الغناء حسن الصوت . وهو من الطبقة الممتازة التى ضمت فى عصره **ابراهيم الموصلى الفارسى** الأصل (125 هـ. ـ 188 هـ. / 742 ـ 804 م.) وابنه **اسحاق** و **مخارق** و **ابن جامع** و **عمر الكنات** ، ولكنه كان مقصرا عن أداء « الغناء القديم » على طريقة المغنين الحجازيين القدامى التى أخذها فى عصره ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق ، فكان ابراهيم بن المهدى « **أول من أفسد الغناء القديم** وجعل للناس جسارة على تغييره » (21) حسب شهادة أبى الفرج الأصبهانى . وكان « اذا عيب ذلك عليه قال : أنا ملك وابن ملك أغنى كما أشتهى وعلى ما ألتذ » .

---

(19) انظر مثلا مختار الأغانى ج 1 ص 216 .
(20) كتاب الأغانى ج 4 ص 398 ـ 404 .
(21) مختار الأغانى ج 1 ص 293 .

وانقسم المغنون عصرئذ الى قسمين من كان منهم على مذهب **اسحاق الموصلي** وأصحابه أنصار « **الطريقة القديمة** » ممن يغني الغناء القديم على جهته أو قريبا منه ومن أخذ بمذهب **ابراهيم بن المهدي** وجماعته أنصار « **الغناء الحديث** » (22) .

وكان ابراهيم بن المهدي « يناظر اسحاق ويجادله فلا يقوم له ولا يفي به ولا يزال اسحاق يغلبه ويغصه بريقه ويغض منه ويظهر عليه السقطات ويبين ... قصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك وكانت بينهما منازعات لا تنقطع وكانا يجريان كل قبيح وماتا على هذه الصورة من المنازعات والمناظرات » (23) .

ولا يستبعد أن يكون للخصومة بين القدامى والمحدثين في الأدب في مطلع القرن الثاني للهجرة مع **بشار بن برد** الفارسي الأصل أثرها في الغناء العربي كما يبينه قصيده « مجلس غناء » (24) حيث انتصر صاحبه ـ وهو رائد المحدثين ـ لشعره على شعر **جرير** وللأصوات المحدثة التي غنتها القينة على الأصوات القديمة في آخر القصة . ومع ذلك استجاب بشار لذوق عصره الأدبي والغنائي في تمثيله الفترة الانتقالية التي ربطت بين **جرير والأخطل** والفرزدق وبين أبي نواس وأبي العتاهية ومن لف لفهما ، وفي تأرجحه بين القديم والجديد من الشعر والألحان في قصيده المذكور الهندسي الشكل المركب من قسمين متعانقين أحدهما يحكي والآخر يغني . ويعتبر ذلك القصيد ميثاق بشار الأدبي ودستوره الغنائي في ذلك العهد ومطلعه :

« وذات دل كأن البدر صورتها باتت تغنى عميد القلب سكرانا :
إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا .

• **مسالك الغناء العربي :**

1) من الحجاز الى الشام :

أيقنت الآن أن الغناء العربي تجاوز محيطه البدوي البسيط وتطور بفضل لقاح لحقه من تفتحه على العالم الخارجي واتصاله في العراق والأهواز بالأنغام

---

(22) الأغاني ج 10 ص 69 ـ 70 .
(23) مختار الأغاني ج 1 ص 292 ـ 293 .
(24) مختار الأغاني ج 2 ص 51 .

الفارسية خاصة وفى الشام وبلاد الروم بالأنغام البيزنطية والاغريقية عامة : وتبينت ـ أبعد الله عنك الشبهة ـ أن ذلك اللقاح أثرى الغناء العربى دون أن يفقده طابعه الخاص أعنى أصالته فكان الاخصاب من جهتين أو أكثر أخذا وعطاء ، تأثرا وتأثيرا كما تبينه مسالك ذلك الغناء ٠

ألا ترى أنه ـ بعد تزاوج لحونه ولحون العجم وبعد تطوره وتعقده بفضل جهود ثلاث طبقات من أعلام التلحين والعزف والأداء ـ أخذ يغزو بدوره الأقطار المجاورة لمحيطه الحجازى ويعود الى منابع اللقاح وينتقل أولا من بيئته البسيطة وبخاصة من مكة والمدينة الى موطن الترف دار خلافة بنى أمية بالشام إما مباشرة عن طريق أقطابه الحجازيين أو بطريقة غير مباشرة بواسطة القيان اللائى نفقت بضاعتهن وتخرج عديد منهن على أساتذة مبرزين فى الغناء بالحجاز ٠

فهذه **حبابة** جارية مولدة من مولدات المدينة « حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود » قد أخذت عن **معبد** « ثم اشتراها بعد ذلك **رجل من أهل افريقية** ، فلما ولى **يزيد** (**بن عبد الملك**) (من 101 الى 105 هـ . / 720 ـ 724 م.) اشترتها سعدة امرأته ، وعلمت أنه لا بد طالبها ومشتريها فلما حصلت عندها قالت له : بقى عليك شىء من الدنيا فلم تنله ؟ قال : نعم **العالية** ، قالت : أو رأيتها ؟ قال : نعم ، قالت : أفتعرفها ؟ قال : نعم ، فرفعت الستر فرآها ، فقال : هذه هى ، فقالت : هى لك ٠ وأخرجت عنهما فسماها **حبابة** وعظم قدر سعدة عنده ٠ ويقال إنها أخذت العهد عليها قبل أن تهبها له أن توطىء لابنها عنده فى ولاية العهد » (25) ٠

وكانت حبابة و سلامة المتخرجتان على أستاذ واحد هو معبد تتباريان فى الغناء فى مجالس يزيد بن عبد الملك وتتنافسان فى استجلاب عطفه « وكانت سلامة هى المتقدمة فى الغناء عند يزيد ، وكانت حبابة تنظر اليها بتلك العين ، فلما حظيت عند يزيد قصرت فى حق سلامة » (26)

واذا كانت حبابة وسلامة تحظيان بمثل ذلك المقام عند يزيد فذلك دليل على شغفه وشغف ملوك بنى أمية وأهل الشام بغناء أستاذهما معبد الحجازى ٠ أجل إن **الوليد بن يزيد** (125 ـ 126 هـ . / 743 ـ 744 م.) اشتاق اليه فوجه رسولا الى المدينة لاحضاره فى بلاطه بدمشق وتفنن خدمه فى تنميق مجلسه ،

---

(25) مختار الأغانى ج 2 ص 549 ـ 550 ٠
(26) نفس المرجع ج 2 ص 556 ٠

فلما غناه معبد طرب فألقى نفسه فى بركة ملئت « ماء ورد خلط بمسك وزعفران » (27) ٠

وكما كان الشعر فى الأدب ينقد كان الصوت فى الغناء ينقد ، والنقد صناعة شملت جميع أنواع الفنون من أدب وتصوير ورسم ونحت وموسيقى ومسرح وغيرها ٠ وكثيرا ما ينقلب المغنى ناقد اللحن والعزف والأداء مثلما فعل **معبد** اذ تبرم أثناء إقامته بالشام فى سفرته الى الوليد بن يزيد من كساد غنائه فى بعض حمامات الشام وفى منزل رجل من السراة لقيه فى ذلك الحمام فاستدعاه الى بيته وأكرمه ولكن صاحب الدار ما ارتاح لما رأى وسمع منه ولا حفل به ، ولما غناه شيخه طرب وكاد يخرج من جلده فانسل معبد من الدار وانصرف ولم يعلم به وقال : « فما رأيت مثل ذلك اليوم غناء أضيع ولا شيخا أجهل » (28) ٠

ويروى عن تهتك **الوليد** وولعه الشديد بالغناء الحجازى أنه « لما ولى لهج بالغناء والشراب والصيد وحمل المغنين من المدينة وغيرها اليه » (29) ٠

وكان **محمد بن عائشة** من الواردين عليه بدمشق وهو الذى **أفسد** بمحادثته ومجالسته فتيان المدينة فى زمانه « وكان يفتن كل من سمعه » ٠ فلما غنى الوليد طرب حتى كفر وألحد (30) ٠

ومن الحجاز خرج **معبد** بغنائه الى الشام وتبعه فى نفس المسلك **عبد الرحمان دحمان** تلميذه فزار بلاط **الوليد بن يزيد** صحبة جارية علمها طريقته وطرق **معبد و الأبجر** وغيرهما وأشار عليها باخفاء اسمه فغنت الخليفة أصواتا لسيدها أطربته فاشتراها منه ــ وهو يظنه مقينا ــ بعشرة آلاف دينار رجع بها دحمان الى الحجاز ٠ ولما رغبت القينة الوليد فى سماع غناء صاحبها منه ــ وكانت قد كشفت عنه بعد رحيله ــ كتب الوليد « الى عامل المدينة بأن يحمل اليه دحمان فحمل ، فلم يزل عنده أثيرا » (31) ٠

والأخبار التى تشهد بولع ملوك **بنى مروان** وأمرائهم بالمغنين الحجازيين لا تحصى كثرة فى كتاب الأغانى وهى تريك أن جلهم أغدقوا الاموال الطائلة

(27) الأغانى ج 1 ص 53 ــ 55 ٠
(28) مختار الأغانى ج 6 ص 344 ــ 345 ٠
(29) الأغانى ج 7 ص 46 ٠
(30) مختار الأغانى ج 6 ص 347 ــ 351 ٠
(31) مختار الأغانى ج 5 ص 14 ــ 17 ٠

على المطربين الحجازيين إعجابا بصنعتهم — دون شك — ولكنهم أرادوا **أيضا** شغل منافسيهم في الحكم من شيعة على وأنصار الزبيريين بالغناء الذى **يلهيهم** عن السياسة فأخذوهم بالشدة تارة ووفروا لهم أسباب اللهو طورا آخر كما فعلوا مع **سكينة بنت الحسين** التى كانت تقيم فى منزلها مجالس الطرب **فيؤمها** مشاهير المغنين **ابن سريج** و **الغريض** و **معبد** و **حنين** وتأذن للناس اذنا عاما فتغص بهم دارها (32) .

ولما قبض عامل **عبد الملك بن مروان** بمكة مال **سعيد بن مسجح** ووجهه الى الشام بتهمة إفساد فتيان قريش « أمنه **عبد الملك** (من 65 الى 86 هـ. / 685 — 705 م.) وكتب الى عامله برد ماله عليه وألا يعرض له بسوء » (33) . وكان ابن مسجح قد دخل على عبد الملك متنكرا فغناه فاهتز طربا وقال له : « من أنت ويلك ؟ قال : أنا المظلوم المقبوض ماله المنفى عن وطنه سعيد بن مسجح ، قبض مالى عامل الحجاز ونفانى ، فتبسم عبد الملك وقال : قد وضح عذر فتيان قريش فى أن ينفقوا عليك أموالهم » (34) .

ودونك خبرا آخر يزيدك وثوقا من تشجيع ملوك بنى أمية للغناء **الحجازى**. فقد « أشرف **معاوية بن أبى سفيان** (41 — 60 هـ. / 661 — 680 م.) **ليلة على** منزل **يزيد** (من 60 الى 64 هـ. / 680 — 683 م.) فسمع صوتا **أعجبه واستخفه** السماع ، فاستمع قائما حتى مل ثم دعا بكرسى فجلس عليه ، وقال : **أشتهى** الاستزاذة فاستمع بقية ليلته ثم غدا عليه يزيد فقال : يا بنى من كان **جليسك** البارحة ؟ قال : أى جليس ؟ واستعجم عليه ، فقال : عرفنى فانه لم **يخف عنى** شىء من أمرك . قال : سائب خاثر يا أمير المؤمنين ، قال : فأكثر له **من بِرك** وصلتك ، فما رأيت بمجالسته بأسا (35) .

غير أن أهل الشام لم يترددوا فى الفتك بسائب يوم الحرة لأنه انقلب على بنى أمية فقال يزيد يومئذ : « ويله ؟ وما له وما لنا . ألم نحسن اليه ونصله ، ونخلطه بأنفسنا ؟ فما الذى حمله على عداوتنا ؟ لا جرم إن بغيه صرعه » (36).

واعتاد ملوك بنى أمية أن يناظروا بين المغنين تنشيطا لهم وتشجيعا مثلما فعل **سليمان بن عبد الملك** (96 — 99 هـ. / 715 — 717 م.) لما حج فسبق بين

(32) مختار الأغانى ج 2 ص 359 — 360 .
(33) مختار الأغانى ج 4 ص 189 — 191 .
(34) نفس المرجع .
(35) مختار الأغانى ج 4 ص 204 .
(36) نفس المرجع .

المغنين ففاز **ابن سريج** بجائزته (37) ولشدة ولعه بغناء الحجازيين كان يستدعى الى بلاطه بالشام بعض مشاهيرهم من ضمنهم **الدلال الظريف** الذى جىء به اليه سرا فاطربه و « أقام عنده شهرا يشرب على غنائه ، ثم سرحه الى الحجاز مكرما » (38) ·

وفيما تقدم أدلة كافية على أن مدارس الغناء بالحجاز هى التى كانت تزود دمشق مركز خلافة بنى مروان بأساطين العزف والتلحين والأداء وبالقيان المتخرجات على طرقهم ·

2 ــ من الحجاز الى العراق وفارس :

وإذ لم يكن غرضنا استقصاء الأخبار المتعلقة بمسلك الغناء العربى من موطنه الحجازى الى الشام بعد أن لحقه لقاح الأنغام الأعجمية ووقع بالعود اليونانى المستورد عن طريق الفرس ، فلنكتف بهذا المقدار المثبت على سبيل المثال لا الحصر ولنوجه اهتمامنا فيما يلى الى مسلك ثان للغناء العربى لعله أهم من الاول فى نظر دارس الحضارة لأنه يبرز بصورة أدق ظاهرة التلاقح الثقافى (acculturation) وان كان التزاوج قد تم أيضا فى الشام بين ألحان الروم وألحان العرب فى مرحلتين مثلتا الأخذ والعطاء من الجهتين · والمسلك الثانى هو من الحجاز الى العراق وفارس ·

فبعد أن كان الغناء العربى فى بداية نموه يتأثر بالانغام والتقاليد الموسيقية الأعجمية صار لما اكتمل يؤثر فيها بدوره وفى موطن الساسانيين وذلك هو معنى التبادل الثقافى الصحيح الذى يكون من جهتين عندما تلتقى الحضارات فتتزاوج ويثرى بعضها بعضا · وهل أدل على ما ذكرنا من مسلك غناء **معبد** المتخرج من **المدرسة الموسيقية العربية الفارسية** التى تقدم ذكر أعلامها · فقد انتقل غناؤه فى مرحلة أولى من الحجاز الى العراق ثم الى الأهواز بواسطة « جارية من جوارى الحجاز تدعى **ظبية** عنى بتخريجها فاشتراها رجل من أهل العراق فباعها فى البصرة فاشتراها رجل من **الأهواز** ، فأعجب بها ثم ماتت بعد أن أقامت عنده مدة وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها · وكان لمحبته إياها وتأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب له والتقديم لغنائه » (39) ·

---

(37) الأغانى ج 1 ص 317 ــ 318 ·
(38) نفس المرجع ج 4 ص 285 ــ 286 ·
(39) مختار الأغانى ج 6 ص 339 ·

وفى المرحلة الثانية تم رواج غناء **معبد** فى بلاد الأهواز بواسطته مباشرة لما بلغه خبر الأهوازى فخرج من **مكة** يبحث عنه حتى صادفه فى سفينة اكتراها من **البصرة** لينحدر فيها الى **الأهواز** ، فعقد على ظهرها مجلس غناء تبارى فيه معبد مع جوارى الأهوازى وتم بينهم التعارف وأقام معبد عند صاحبه حتى حذق جواريه غناءه ثم ودعه وانصرف الى الحجاز (40) ٠

ظل هذا الولع بالغناء الحجازى شديدا فى دور السراة وقصور خلفاء **بنى العباس** بالعراق رغم بروز مغنين عراقيين جلهم من أصل فارسى كان لهم شأن عظيم أشهرهم **ابراهيم الموصلى** وابنه **اسحاق** و **زرياب** و **ابراهيم بن المهدى** ٠ وهذا الأخير ابن خليفة شغف والده بغناء أهل الحجاز فسمعه فى موطنه وجلب من مكة والمدينة أعلامه ٠ روى اسحاق الموصلى أن **المهدى** (158 — 169 هـ. / 775 — 785 م.) لما حج طلب من المغنى المدنى **أبى سعيد** مولى فائد أن يرافقه الى بغداد فامتنع فقال له : «ما كنت لآخذك بما لا تحب ولو كان غيرك لأكرهته على ما أحب ولكن دلنى على من ينوب عنك فدله على **ابن جامع** وقال له : عليك بغلام بنى سهم قد أخذ عنى وعن نظرائى ، وهو كما تحب ، فهذا كان سبب قدومه بغداد » (41) ٠

وفى خلافة المهدى أيضا قدم عليه مغن محسن من أهل المدينة اسمه **يزيد حوراء** « فحسده **ابراهيم الموصلى** على شمائله وإشاراته فى الغناء » (42) ٠

ولما مات المهدى وملك **موسى الهادى** (169 — 170 هـ. / 785 — 786 م.) جلب الفضل بن الربيع **ابن جامع** من مكة لمعرفة موقعه من نفسه « وكان ابن جامع ممن انقطع الى الهادى أيام المهدى وضربه المهدى وطرده » (43) ٠

وكان ابن جامع ذا حظوة عند **الرشيد** (170 — 193 هـ. / 786 — 809 م.) أيضا ، دخل عليه فقيرا وأصبح من جلة الناس ومياسيرهم » (44) ٠

وغير ابن جامع من المغنين الحجازيين الذين استقدمهم الرشيد الى بلاطه كثير من ضمنهم **اسماعيل الهربذ** الذى « أدرك آخر أيام بنى أمية وغنى

---

(40) نفس المرجع ص 341 — 342 ٠
(41) مختار الأغانى ج 1 ص 86 ٠
(42) مختار الأغانى ج 8 ص 325 ٠
(43) مختار الأغانى ج 1 ص 216 ٠
(44) نفس المرجع ج 1 ص 218 — 224 ٠

الوليد بن يزيد وعمر الى آخر أيام الرشيد ، وكان قد قدم عليه من **مكة** فدخل اليه وهو يومئذ خاثر به خمار شديد فغناه **ابن جامع** ثم **فليح** ثم **ابراهيم** وابنه **اسحاق** فما حركه أحد منهم ولا أطربه ، فاندفع اسماعيل فغنى فعجبوا من إقدامه على الرشيد ومن جرأته وهو على تلك الحال ... فاستخف الرشيد الطرب وكاد أن يرقص حتى ضرب بيديه ورجليه وأمر له بعشرة آلاف درهم » (45) .

و **مسكين أبو صدقة** من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز فى أيامه وكان يعبث به لخفة روحه ويطرب بمليح غنائه (46) ويسبق بينه وبين **الزبير بن دحمان** كما يناظر بينه وبين **ابن جامع** و **ابراهيم الموصلي** و **زلزل** و **برصوم** و **عمر الغزال** وسائر المغنين (47) .

تجلى لك مما تقدم المسلك الثانى للغناء العربى فى مدرسة **الحجاز المتفتحة** على أنغام الفرس خاصة وعلى لحون الروم عامة ، وأدركت أن **خلفاء بنى العباس** وسراة القوم ومياسير المقينين هم الذين شجعوا على استيراد **ذلك الغناء من الحجاز الى العراق** وهو أحد مواطن الساسانيين قبل **الفتح الاسلامى** ومنه ومن فارس جاءت الأنغام الفارسية التى لقحت أنغام العرب وولدت منها **مخلوقا جديدا** تعلق به خلفاء بنى العباس ورغب فيه المغنون العراقيون ورحلوا لينهلوا من معينه بالحجاز كما فعل **ابراهيم الموصلي** زمن العباسيين و **حنين الحيرى** فى عهد بنى أمية ولكن حنينا لم يعد من المدينة اذ مات **بها تحت ردم** رواق دار **سكينة** عندما ازدحم الناس ليسمعوا غناءه (48) .

• دور ابراهيم الموصلي في دعم السنة الغنائية :

أما ابراهيم الموصلي فانه أفاد كبير افادة من « **الطريقة القديمة** » الرائجة فى الحجاز وهضمها ولم يجد فى غناء من اجتمع بهم من الفرس فائدة على حد قوله . فانه لما آنس فى نفسه قدرة على الأداء الحسن « اشتهى الغناء وطلبه وسافر الى **المواضع البعيدة فيه والى الرى** ، وتزوج بها هنالك امرأته **دوشار** وتفسيرها أسدان وتزوج بها **شاهك** أم ابنه **اسحاق** وسائر ولده » (49) .

(45) نفس المرجع ج 1 ص 225 .
(46) مختار الأغانى ج 7 ص 232 — 237 .
(47) نفس المرجع .
(48) مختار الأغانى ج 2 ص 359 — 360 .
(49) مختار الأغانى ج 1 ص 125 .

ويروى ابراهيم الموصلي ظروف تعلمه الصنعة واتصاله بالمغنين من الفرس وبدء تكسبه بالغناء في الأهواز ثم اشتهاره ببلاط المهدي في خبر نسوقه الآن لأهميته وطرافته . قال ابراهيم : « أول شيء كسبته بالغناء أني **كنت بالري** أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئا ، فمر بنا خادم أنفذه **المنصور** (136 - 158 هـ . / 754 - 775 م.) الى بعض عماله برسالة **فسمعني عند رجل من الري** فشغف بي وخلع علي دواج سمور له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة ، فجاءني الى منزلي وأعطاني نصف الكسوة وألفي درهم . فقلت لا أنفق هذه الدراهم الا على الصنعة التي أفادتنيها ، ووصف لي رجل بـ **الأبلة** (50) اسمه **جوانويه** فلما جئته لم أصادفه في منزله فانتظرته حتى جاء فلما رآني احتشمني وكان **مجوسيا** فأخبرته بصناعتي والحالة التي قصدته لها ، فرحب بي وأفرد لي جناحا في بيته ووكل بي جارية فقدمت لي ما احتاج اليه ، فلما كان العشاء عاد الى منزله ومعه **جماعة من الفرس ممن تغنى** فنزلت اليه فجلسنا في مجلس قد هيء لنا فيه نبيذ ورياحين وفاكهة ، وأخذوا في شأنهم وضربوا ، **فلم أجد في غناء أحد منهم فائدة** ، وبلغت النوبة الي فضربت وغنيت ، فقاموا جميعا الي وقبلوا رأسي وقالوا : سخرت بنا **ونحن الى تعليمك أحوج منك الينا** ، فأقمت على تلك الحال أياما حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي ما جرى ، فوجه الي فأحضرني وأمرني بملازمته فقلت : أيها الأمير إني لست أتكسب بهذه الصناعة وانما ألتذ بالغناء ولذلك تعلمته وأريد العود الى الكوفة ، ولم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته وسألني : من أين أنا ؟ فأخبرته أني **من الموصل** فلزمتني وعرفت بها ولم أزل عنده أثيرا مكرما حتى قدم عليه خادم من خدام المهدي فلما رآني عنده قلت له : أمير المؤمنين أحوج الى هذا منك ، فدافعه عني فلما قدم الرسول على المهدي سأله عما رأى في طريقه ، فأخبره بذلك حتى انتهى الى ذكري فوصفني له ، فأمره المهدي بالرجوع واشخاصي اليه فجاء وأشخصني اليه وحظيت عنده وقدمني » (51) .

• اكتمال الغناء في العراق :

ومتى أضفت الى هذه النبذة من ترجمة ابراهيم الموصلي ومسلك غنائه ما علمت من انتمائه الى « **الطريقة القديمة** » تبينت أنه تمسك بالسنة الغنائية العربية التي تدعمت بالحجاز واكتملت بالعراق بعد أن هضمت شيئا كثيرا من

---

(50) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة .

(51) مختار الأغاني ج 1 ص 125 - 126 .

أنغام الفرس والروم وصاغتها صياغة تستجيب للذوق العربي فقوى الغناء العربي بذلك حتى صار قطب من أقطابه **ابراهيم الموصلي** الفارسي الأصل لا يجد في غناء الفرس فائدة واعترف له جماعة منهم بأنهم الى تعليمه أحوج منه اليهم .

ويقول ابن خلدون في شأن اكتمال الغناء العربي في العراق بطريقتيه القديمة التي مثلها **ابراهيم الموصلي** وابنه **اسحاق** وابنه **حماد** والمحدثة التي تزعمها **ابراهيم بن المهدي** : « وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى أن كملت أيام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد ، وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد ، وأمعنوا في اللهو واللعب واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والأشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالترج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويثاقفون وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك بـ **بغداد و أمصار العراق وانتشر منها الى غيرها** » (52) .

3 ـ انتقال الغناء المشرقي الى المغرب والأندلس : (زرياب)

ولم ينقطع حتى القرن الثالث عصر زرياب (173 ـ 243 هـ.) سند السنة الغنائية التي غرست وتدعمت في الحجاز ، ثم اكتملت في العراق . فقد سلك بها تلميذ **اسحاق الموصلي** مسلكا آخر فنقلها الى **الأندلس** سنة (207 هـ. / 822 م.) بطلب من الأمير **الحكم الأول بن هشام** (180 ـ 206 هـ. / 796 ـ 822 م.) بعد أن أذاعها في عهد **زيادة الله الأول** (201 ـ 223 هـ. / 817 ـ 838 م.) بـ **القيروان** عاصمة افريقية الأغلبية حيث تأصلت يومئذ الأوضاع العربية وتقاليدها بما في ذلك السنة الغنائية التي امتدت بما لحقها من تطور على يد **زرياب** بالخصوص الى زمن الطوائف . ولما غربت شمس الأندلس انتقلت الى **المغرب** و **افريقية** وبقي أثرها الى عصر ابن خلدون . فاقرأ لمزيد تيقن من ذلك ـ قوله :

« وكان للموصليين غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه الى المغرب غيرة منه فلحق الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس، فبالغ في تكرمته وركب للقائه . وأسنى له الجوائز والاقطاعات والجرايات

(52) ابن خلدون « المقدمة » ص 772 ـ 773 .

وأحله من دولته وندمائه بمكان **فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى أزمان الطوائف** وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى **بلاد العدوة بافريقية والمغرب** ، وانقسم على أمصارها » (53)
ونلاحظ تعليقا على ما جاء فى نص ابن خلدون من وفود زرياب على الأمير الحكم ـ أنه لم يره اذ توالت عليه فى طريقه اليه الأخبار « بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدوة فكان معه منصور اليهودى المغنى رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه فى قصد عبد الرحمن ولده » (54) • وفيما تقدم من كلام ابن خلدون اشارة الى أن **زرياب** غلام الموصليين ومولى بنى العباس تخرج فى صناعة الغناءعلى « الطريقة القديمة » لاسحاق الموصلى « فتلقف من أغانيه استراقا وهدى من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى ما فاق به اسحاق ، واسحاق لا يشعر بما فتح عليه الى أن جرى للرشيد مع اسحاق خبره المشهور فى الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال : انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذ أنا وقفته على ما استغرب منها وهو من اختراعى واستنباط فكرى وأحدس أن يكون له شأن ••• » (55) فلما أحضر أمام الرشيد طلب أن يغنى بعوده الخاص لا بعود أستاذه اسحاق وتفنن فى وصفه فاستبرع الرشيد ذلك الوصف وأمره بالغناء فجس وغنى :

يا أيها الملك الميمون طائره هارون راح اليك الناس وابتكروا

« فأتم النوبة وطار الرشيد طربا •• وقال اسحاق : والله لولا أنى أعلم من صدقك لى على كتمانه اياك لما عنده وتصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لأنزلت بك العقوبة » (56) • ولما علم اسحاق موقع زرياب من نفس الخليفة و « هاج به من داء الحسد ما غلب على صبره » صرفه الى الأندلس صحبة أهله بعد أن هدده بالاغتيال ان هو أقام على كرهه •

• الغناء فى الأندلس قبل زرياب :

ونقل **حسن حسنى عبد الوهاب** فى « ورقاته » من مخطوط بعنوان « متعة

(53) المقدمة ص 772 •
(54) المقرى « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » • ط• مصر 1949 ج 4 ص 120 •
(55) نفس المرجع ج 4 ص 118 •
(56) نفس المرجع ج 4 ص 119 •

الأسماع فى علم السماع » **لأحمد التيفاشى التونسى** المتوفى سنة 651 هـ. بالقاهرة خبرا هاما أشار فيه الى ما كانت عليه الألحان والأغانى فى بلاد الأندلس قبل عبور زرياب اليها وهاك ما قاله : « أخبرنى أبو الحسن على بن سعيد (الغرناطى) أن أهل الأندلس فى القديم كان غناؤهم اما **بطريقة النصارى** واما **بطريقة حداة العرب** ، ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه الى أن تأثلت الدولة الأموية وكانت مدة الحكم الربضى (من سنة 206 هـ. الى سنة 238 هـ.) فوفد عليه من **افريقية من يحسن** غناء التلاحين المدنية فأخذ الناس عنهم الى أن وفد الامام المقدم فى هذا الشأن على بن نافع الملقب (**بزرياب**) غلام اسحاق الموصلى ... » (57) .

◆ دور افريقية فى نقل الغناء المشرقى الى الأندلس :

ومن هذا الخبر تفهم أن الطريقة المشرقية فى الغناء والتوقيع التى ليست الحداء البدوى دخلت بلاد الأندلس عن طريق افريقية فى أوائل القرن الثالث الهجرى ثم توطدت مع **زرياب** . وفى « ورقات » حسن حسنى عبد الوهاب أخبار متعلقة ببعض مشاهير المغنين المشارقة المدنيين والبغداديين **الوافدين** على القيروان ورقادة وقرطبة قبل قدوم زرياب الى المغرب وبعده ومن ضمنهم **مؤنس المغنى** الذى لقن الصنعة للجوارى فى قصور رقادة وظل **فى خدمة** الأمراء الأغالبة حتى سقوط دولتهم سنة 296 هـ. ثم دخل فى خدمة **عبيد الله المهدى** ومات سنة 314 هـ.

وكان **عبد الوهاب بن حسين بن جعفر** حاجب الدولة الفاطمية مولعا بضرب العود وصنعة اللحون وقد عرف به صديقه **ابراهيم الرقيق** مؤرخ القيروان ومن جملة ما قال عنه : « كان لا يطرأ من الشرق مغن الا سأل من يقصد لهذا الشأن فيدل عليه ، فمن وصل اليه منهم استقبله بصنوف البر والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ، ولم يدعه الى أحد من الناس ، فلا يزال معه فى صبوح

(أ) أنظر السطر بين الاول والثاني [illegible] فى الصفحة ١٠ [illegible])

تجلى لك الآن ما لحق غناء أهل افريقية والأندلس من تطور بورود المغنين المشارقة الحجازيين والعراقيين عليهم ، ولعلك أدركت أيضا أن السنة

---

(57) حسن حسنى عبد الوهاب « ورقات » ج 2 ص 179 ط. تونس 1966 .

وغبوق وهو يجدد له فى كل يوم كرامة حتى يأخذ ما عنده من صوت مطرب أو حكاية نادرة » (58) ٠

الغنائية المشرقية تكيفت بحسب ذوق أهل كل إقليم ولحقها من لقاح غنـائهم القديم ما أكسبهـا فى كل قطـر طابعـا متميـزا لم يغب عن **أحمد التيفاشى** ملاحظته فى كتابه « متعة الاسماع فى علم السماع » كما يلى : « فأمـا أهـل افريقية فان **طريقتهم فى الغناء مولدة بين طريقتى اهل المغرب والمشرق** ، فهى أخف من طريقة أهل الأندلس وأكثر نغما من طريقة أهل المشرق ، وكـذلك أشعارهم التى يتغنون بها هى أشعار المولدين » (59) ٠

والمؤرخون مجمعون على أن مؤصل السنة الغنائية المشرقية ومطورها فى المغرب عامة هو ـ دون شك ـ **زرياب والمتخرجون عليه وقد أحدث انتقاله الى الأندلس** تحولا فى تاريخ حضارتها اذ لم يقتصـر دوره هنـالك **على غـرس** الطريقة الغنائية المشرقية التى أخذهـا عن اسحـاق المـوصلى **وزاد عليها من** اختراعه ما أدهش **الرشيد** بل سن للأندلسيين بالاضافة الى مراسم الغناء ضروب الظرف وآداب المجالسة ولطف المعاشرة ومهارة خدمة الملـوك وعلمهم ألوانـا مستحسنة من الأطعمة وفن التجميل وزاد فى أوتار عوده وترا خامسا اختراعا منـه وعـوض مضـراب العـود من مـرهف الخشب بقـوادم النسـر وكان يحفظ « عشرة آلاف مقطوعة من الأغانى بألحانها وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره **بطليموس** واضع هذه العلوم ومؤلفها » (60) ٠

وملأ اسم زرياب بلاد الأندلس ٠ وما هو الا أن سمعه **عبد الرحمن الثانى بن الحكم** (206 ـ 238 هـ. / 822 ـ 852 م.) « فاستهوله واطرح كل غناء سواه

---

(58) ح٠ ح٠ عبد الوهاب « ورقاب » ج 2 ص 210 ٠

(59) نفس المرجع ص 231 ٠

(60) أ ـ المقرى « نفح الطيب » ج 4 ص 122 ـ 123 ٠

ب ـ Lévi - Provençal « Histoire de l'Espagne Musulmane » T I P 268 - 272 Ed. Maisonneuve, Paris
Ed. Brill Leiden. 1950

ج ـ Lévi - Provençal « La Civilisation arabe en Espagne » P 68. Ed. Maisonneuve, Paris 1948

د ـ Encyclopédie de l'Islam. P 285 - 286

وأحبه حبا شديدا وقدمه على جميع المغنيــن وأكـرمه غـاية الاكـرام وأدنـى منزلته » (61) . ولكن خبره نسي بالمشرق « إذ لم يكن اسمه شهر هنـالك شهرته بالصقع الذى قطنه ... » (62) حتى أن أبـا الفـرج الأصبهـانى لم يذكره في موسوعته « كتاب الأغانى » الا عرضا فى سياق خبر عن حنين **علويه** فى غنائه يوما بمحضر المأمون الى بنى أمية وكان قد صحبه الى الشام وطاف قصور بنى مروان بدمشق فنظر اليه الخليفة مغضبا ولعنه ولعنهم فقال المغنى : « أتلومنى على أن أذكر بنى أمية ؟ هذا مولاكم زرياب عندهم يركب فى ثلاثمائة مملوك ويملك ثلاثمائة ألف دينار سوى الضياع والخيل والرقيق وأنا عندكم أموت جوعا » (63) .

وأورد أبو الفرج عديدا من الأخبار أشار فيها الى مسالـك أخـرى للغنـاء العربى ومنها مسلك من الحجـاز **الى بلاد الروم** مـع **الصلت الوابصى** الـذى حده فى الخمر (عمر بن عبد العزيز) (99 - 101 هـ. / 717 - 720 م.) وهو أمير **الحجاز** فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر ، فمات هناك نصرانيا » (64) ومنهـا أيضـا مسلـك من **الحجاز** الى **اليمن** مع **الغريض** فى أيـام **سليمان بن عبد الملك** (96 - 99 هـ. / 715 - 717 م.) ولكن غناءه كسد عند قوم لم يفهموه فأبكاه إعراضهم عنه وإنكارهم لعوده (65) .

ونعلم أيضا من مراجع أخرى انتقال الطريقة الغنائية الحجازية من موطنها مباشرة الى **الأندلس** بواسطة القيان ومن بينهن الثـالوث الشهير « **فضل** » و « **علم** » و « **قلم** » اللائى تخرجن على المغنيــن بالمـدينة ثم جلبن الى بـلاط عبد الرحمان الثانى بن الحكم بقرطبة فأطربنه فى مجالسه وأنجبت كل واحدة منهن ولدا له (66) .

---

(61) نفح الطيب ج 4 ص 121 .

(62) نفس المرجع .

(63) مختار الأغانى ج 5 ص 91 - 92 .

(64) مختار الأغانى ج 4 ص 352 .

(65) نفس المرجع ج 4 ص 388 .

(66) Lévi - Provençal « Histoire de l'Espagne Musulmane » T I, P 268

وانتقل الغناء أيضا من **العراق** الى الشام كما كان الشأن مع ابراهيم الموصلي (67) وحنين (68) وعلويه المغنى (69) • **وللطريقة المشرقية في الغناء** مسالك أخرى عديدة لو دخلت في **تفاصيلها لطال البحث وخرج بي عن الحدود** التي أردتها له ولكني أكتفي بهذا المقدار الدال على أن جميع تلك المسالك تشهد بامتداد السنة الغنائية الى أطراف العالم الاسلامي حتى عصر أبي الفرج بعد أن رسخت في الحجاز واكتملت في العراق بتزاوج الأنغام العربية والفارسية والرومية فضلا عما لحقها من لقاحات أخرى آلية ونغمية كما في الموشحات والأزجال ، ثم تواصلت تلك السنة في الأندلس وفي افريقية والمغرب حتى بقي منها « صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها » (70) في عصر ابن خلدون اذ أن صناعة الغناء في نظر علامتنا التونسي هي « آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي أيضا أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله أعلم » (71) •

نعم إن تراجع العمران وتناقص الدول في الأندلس وافريقية والمغرب كان **ينبىء** زمنئذ ـ كما توقع ذلك ابن خلدون ـ بقرب انقطاع سند السنة الغنائية التي تتبعت أطوارها في هذا البحث بل سند الثقافة العربية الاسلامية بوجه عام طوال قرون الظلام وزمان الانحدار الحضاري •

احمد خالد

حمام الأنف ـ تونس ـ أغسطس 1971

---

(67) مختار الأغاني ج 1 ص 143 •
(68) نفس المرجع ج 2 ص 354 •
(69) نفس المرجع ج 5 ص 91 •
(70) المقدمة ص 773
(71) نفس المرجع •

تطور الجملة العربية عند المولدين

بقلم البشير بن سلامة

لقد ذكرت مرة فى باب الحديث عن اللغة العربية (*) حاجتنا الى قاموس يضبط تطور معانى الكلمات العربية واكدت مدى الغنم الذى يمكن ان يظفر به الدارس للغتنا عندما ينظر الى حركية اللغة من خلال تـدرج الالفاظ من مفهوم الى مفهوم وتقلبها من مدلول الى آخر • وإن هذا لا يفيـد الاختصاصى فقط بل يجعل كل ناطق بهذه اللغة يعتقد امكانية ترقيتها والتقدم بها ويؤمن بمدى تأثير اهلها فيها بحكم ظروف عيشهم وتطور الحضـارة عنـدهم ، وقد سرنى أخيرا أن سمعت بأن المستشرق بلاشير منهمك فى إعداد هذا القاموس•

واذا كان هذا العمل له أهميته فان عملا آخر لا يقل خطورة عنه ينتظرنـا وهو ضبط تطور الجملة العربية من حيث الاسلوب والشكـل عنـد الكتـاب الخلاقين خلال العصور المتعـاقبة • ولست أعنى هنا ما تعـارف عليه الأدبـاء والباحثون سواء المستشرقون أو العرب من بعض الاشارات والتلميحات التى لا تفى بالحاجة وتبقى مبهمة غامضة ، مستنجدة تارة بنحو الجملة كما ضبطه العرب من قديم أو مخلدة الى تصور لعلم اللغة قد أخنى عليه الدهر ، بل الذى أعنيه هو اخضاع الجملة العربية فى أطـوارها المتعددة سواء النثرية منها أو الشعرية الى احدث نظريات العلوم اللسانية (Linguistique) وخـاصة علـم الاساليب Stylistique.

لقد كفانا ترديدا لما قاله الدارسون فى النصف الاول من هذا القرن من أن الجملة العربية وقع تطعيمها وتقدمت نحو النثر المبسط مع الكتاب المولـدين وخاصة منهم الفرس مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع كما أنها لانت وزادت روعة فى عالم الشعر وفجرت الاوزان القديمة محتفظة بروح الشعر العربى مع

(*) راجع تآليفا لى عن اللغة العربية ومشاكل الكتابة (الدار التونسية للنشر 1971) •

بشار وأبى نواس ، إن ذلك أصبح لا يغنى من جوع فى عصـر خضعت فيـه اللغـة الى التجـارب فى المخـابر كمـا خضعت كل مظـاهر الحيـاة الى الآلات الألكترونية والمقاييس التى يعجـز الحـدس البشرى والاستنباط العقـلى عن ضبطها ٠

إن الذى يهمنا اليوم هو كيف تطورت هذه الجملة وما هى عناصرها فى كل طور من أطوارها وماذا زاد كل كاتب فى تراكيبها وما هى إيقاعاتها المستحدثة ونبراتها المستجدة وأنواع التطعيم الطارئة عليها الآتية من روافـد اجنبيـة مختلفة ؟

وهذا العمل وإن كان يبدو من قبيل الاختصاص فانه فى الواقع صالح لأن يبرز مدى حركية هذه اللغة والاتجاه الذى يمكن لأهلها ان يتوخوه فى سبيل ترقيتها دون ان يخرجوا عن عبقريتها وان يمسخوها مسخا ٠

كيف يمكن ابراز تطور الجملة العربية فى نثر عبد الحميـد الكـاتب وابن المقفع وفى شعر بشار وأبى نواس والحال ان اسلوبهم وتراكيب جملهم بقيت تخضع الى النحو العربى والى عبقرية اللغة العـربية وإن أقصى مـا يمكن أن يحس به الدارس هو مجرد الاحساس بالجديد فى هذا الادب ٠ وهو ما أشار اليه العسكرى عندما ذكر أن عبد الحميد الكاتب « استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى فحولها الى اللسان العربى » (I) وما أثبته شوقى ضيف بشىء من التفصيل لا يغنى شيئا فى كتابه الفن ومـذاهبه فى النثر العربى عندما قال : « وخصائص عبد الحميـد جميعهـا واضحـة ٠٠٠ فيها لازمة الحال وفيها جودة التقسيم ودقة المنطق وفيهـا الطبـاق ومقابلاته والصور وألوانها وخاصة لون الاستعارة ، وفيها الازدواج والترادف الموسيقى الذى يتيح لعباراته فنونا مختلفة من الايقاعات والموازنات الصوتية » ٠

ولكن أية لغة فارسية هذه وأى طور من أطوارها يعنـى ؟ هـل هى اللغـة الفارسية القديمة المندثرة أو لغة الزند التى تطورت فيما بعد الى الفهارية أو لغة الفردوسى أصل الفارسية الحديثة ٠ وكلها لها خصائصها ومميزاتها وهى من أصل هند أوروبى واللغة العربية من فرع سامى ٠ وكلا الفرعين لا يلتقيان إلا فى القليل النادر٠ذلك أن الفارسية فى أطوارها المختلفة لم تتغير فى جوهرها

(I) كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى (طبعة الحلبى) ص 69 ٠

إذ بقيت فى هيكلها آرية ولم يبدل منها العنصر الأجنبى لا أشكالها ولا نحوها وهو ترجمان الشخصية اللغوية ·

فكيف أمكن لهذه اللغة أن تؤثر فى العربية والحال أن لغتنا بقيت أيضا فى نحوها عند عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وعند بشار وأبى نواس هى هى بينما يقول بلات فى دائرة المعارف الاسلامية : « يجب ألا ننسى أن تعريب كليلة ودمنة يمكن أن يعد أول صرح للنثر البسيط وأن الأدب (الكبير والصغير) الذى يمثل أساس الأدب الوضعى النثرى هو حصيلة التأثير الايرانى » ·

ولكن هذه الحقائق التى أصبحت بديهية يرددها الباحث بعد الباحث والتى لا يمكن أن يشك فى صحتها أحد عندما يقارن بين نثر عبد الحميد وابن المقفع ونثر من قبلهما وبين شعر بشار وأبى نواس ومن سبقهما هل أتى ما يدعمها بصفة موضوعية علمية ؟

لا أظن ، لأن غاية ما أكده الباحثون وبينوه فى إسهاب إنما هى الثروة الفكرية التى أتت عن طريق المولدين من حيث المعانى والاتجاهات الفكرية ولكنهم لم يحددوا بالضبط تأثير اللغة الفارسية فى الجملة العربية المولدة ·

وهذا يستدعى ضبط خصائص اللغة الفارسية التى كان يحذقها هؤلاء المولدون ومقارنتها باللغة التى كتبوا بها مع حصر الفوارق الموجودة بين نثر المولدين وشعرهم وإنتاج من سبقهم · وبطبيعة الحال فان عملا مثل هذا يستدعى جهودا جامعية متعددة عارفة بالعلوم اللسانية الحديثة ولها مخابر تحت تصرفها ·

ولكن فى إنتظار هذا العمل الجبار يمكن أن نكتفى بالافتراضات ونتساءل معا عن الروافد التى أمكن لهؤلاء المولدين من أصل فارسى أن يطعموا بها العربية ونقول أن اللغة الفارسية المعنية من فرع هند أوروبى ولا بد أن يكون عبد الحميد الكاتب وابن المقفع قد تأثرا بخصائصها وغيرا شيئا ما هيكل الجملة العربية السامية الاصل بالانطلاق من لغتهما الأم ·

هل غير ابن المقفع من الناحية الصوتية الجملة العربية أى هل أحال طغيان الحروف الصامتة على الحركات وهى سمة من سمات اللغة العربية ؟ إن هذا لم يقدر عليه لا ابن المقفع ولا غيره لأنه يكاد يكون الهيكل العظمى للغة الضاد بينما الحركات هى اللحم والدم ؟

وهل أشاع فى الجملة العربية التركيب المزجى المعروف فى اللغات الاخرى الهند أوروبية ؟ لا نجد أثرا لذلك .

وهل خرج بالزمان عن صوره البسيطة الموضوعية الى صيغ فيها ألوان من تصور الماضى والحاضر والمستقبل ؟ نعم . إن من يتتبع استعمال ابن المقفع للافعال وما يحملها من مدلولات الزمان وأصباغه وما يبعثه فى المصادر وصيغ الحال من رائحة الزمان وما توحى به أجزاء الجملة من تصرف دقيق ذاتى فى تلوين الزمن يعتقد أن هذا الكاتب تصرف فى الجملة العربية تصرفا جديدا .

لنأخذ هذا المثال البسيط : « وأما ما يتخوف المتخوفون من نزواتهم ، فلعمرى لئن اخذوا بالحق ـ ولم يؤخذوا به ـ إنهم لخلقاء الا تكون لهم نزوات ونزقات » ولنحلل الناحية الزمانية فيه . إننا نجد تأرجحا بين الماضى والمستقبل وتموجا مقصودا فى الزمن يعطى للفكرة نفسها نوعا من الدقة والنفاذ والعمق . فهو يتحدث عن أهل الشام ويصل الى الحديث عما يتخوف الناس منهم ويقول وأما ما يتخوف المتخوفون من نزواتهم وهو يشير الى الحال الممكن ثم يتحول فجأة الى الماضى المفترض (لئن أخذوا) لينفيه فى الماضى القطعى (ولم يؤخذوا به) ويصل فى آخر الامر الى نفى الحال (ألا تكون لهم نزوات) .

بهذا المثال يمكن القول بأن الزمن تحول من أوقات ومظاهر للافعال الى المدة بأتم معنى الكلمة والى الحالات الزمنية المضبوطة التى يحياها ويعيشها الكاتب ذاتيا وليست مجرد ذرات زمنية . وهذا نجده بليغا عند ابن المقفع ، ورغم ذلك فان الزمن يبقى متعلقا بالجملة لا بالافعال فى حد ذاتها وإلا فان العربية يلحقها عند ذلك الضيم .

غير أن الذى يمتاز به ابن المقفع عن غيره من الكتاب الذين سبقوه هو هذا التصرف فى تركيب الجملة . إذ حولها من مجرد جمل معطوفة بسيطة الى جمل مركبة متشعبة تكاد لا تنتهى . ولعل هذا الذى لفت الانظار اليه اكثر من غيره . فجملة مثل هذه : « إن **فى أهل العراق يا أمير المؤمنين من الفقه والعفاف والألباب والألسنة شيئا لا يكاد يشك** أنه ليس **فى جمع من سواهم من اهل القبلة مثله** ولا مثل نصفه » تحتوى على ست جمل متراكبة متماسكة لا يمكن فصل بعضها عن بعض وهو من الدليل النادر فى النصوص العربية القديمة إلا فى المنتحلة منها . وهذه الجملة هى أقل الجمل تعقيدا إذ يمكن إيراد أمثلة أخرى تطول فيها الجملة أكثر مما ذكرت .

وإن المقام لا يدعو الى الدخول فى جزئيات فنية وارهاق القارىء بأمثلة يقع تقسيمها وبيان خصائصها إذ أن ذلك يوجب الاعتماد على نماذج عديدة من جملة ابن المقفع توضع على محك العلوم اللسانية العصرية وتحدد من خلالها مع مقارنتها بأمثلة أخرى وعند ذلك نستشف من وراء هذه التغييرات تأثيرات اللغة الفارسية التى تغذى بلبانها ابن المقفع وطبع بخصائصها ومميزاتها .

وليس من الغريب بعد كل هذا أن تزخر جملة ابن المقفع بمختلف المعانى وتتلون بعديد الاصباغ نظرا لسعة ثقافته التى لم تقتصر على التراث العربى ولقدرته البالغة على التصرف فى العبارات واحلالها نظاما تتمثل فيه الطرافة والجدة والتحرر الكامل من القوالب القديمة .

وخلاصة القول فان دراسة الجملة العربية عند المولدين بالاستناد الى ما جد فى العلوم اللسانية أمر يحتمه واقعنا إذ به نتمكن من معرفة الطرق التى تمكن هؤلاء بواسطتها من أن ينهضوا بالعربية فى ذلك العصر وبه تتعرف الى السبل التى يمكن ان نسلكها لترقية لغتنا والتقدم بها حتى تواكب العصر وتقدر على التعبير عن أسراره ومستحدثاته العلمية واتجاهاته الفكرية المنسجمة معه .

البشير بن سلامة

أصول الطب العربي في بلاد الفرس

بقلم سليم عمار

لقد جاء فى أساطير الفرس ان الطب الفارسى قبل انتشار الاسلام والمدنية العربية ، بدأ فى عصر جمشيد الذى اكتشف المسك والكافور والعنبر وعطور الورد والازاهير ووقف على اسرار العلوم الطبية الغامضة وتعرف على خواص الادوية الخفية حتى شاعت صناعة الطب بين الناس من ذلك العهد ٠

وحوالى القرن السابع قبل الميلاد أتى الى بلاط الملوك الكيانيين (Achéménides) عدد وافر من الاطباء المصريين فنشروا وصفاتهم وخبرتهم بين الفرس ٠

وفى خلال القرون الستة التى ما بين غزو الاسكندر سنة 331 قبل الميلاد وانبثاق فجر العهد الساسانى (Sassanides) أصبحت بلاد الفرس فى حالة سبات وخمول فلا يجد الباحث ما يستحق الذكر الا ما رواه الفردوسى من ان الاسكندر لما دعا ملك الهند يأمره بالدخول فى طاعته اجابه هذا الاخير قائلا : ان له اربعة اشياء لا يملكها احد غيره ولا مثل لها فى جميع العالم ولما سأله الاسكندر عن تلك الاشياء قال : احدها بنت سترى ليس لها نظير فى الحسن والجمال وكمال الاداب والثانى جام اذا ملأته بالماء أو بالشراب لم ينقصه الشرب منه وان شربت منه مع الندماء عشر سنين **والثالث طبيب اذا قام مع ٠٠٠ لم يصبه داء مدة حياته** والرابع فيلسوف يخبر الملك بجميع ما يكون قبل حدوثه فأرسل الاسكندر فى طلبهم وأمر خاصة بحضور الطبيب ولما أتى بين يديه سأله عن اعظم اسباب الامراض فقال : ان يأكل الرجل فاضلا

عما يحتمله المزاج ولا يربط نفسه عند حضور الطعام وذكر ابن أبى أصيبعة ان الاسكندر لما أحتوى على فارس أحرق كتب دين المجوسية وعمد الى كتب النجوم والطب والفلسفة فنقلها الى اللغة اليونانية وانقلها الى بلاده وأحرق أصولها ·

وفى عهد الاسرة الساسانية جمعت نصوص الكتاب المقدس المسمى بالافستا (Avesta) بعد تشتيتها ووضع لها الشرح المسمى زندافستا الذى كان يحتوى على فصل مبين فى صناعة الطب وكانت هذه الصناعة عند الفرس كما كانت عند البابليين والاشوريين (1) خليطا من التعزيم والرقى مع شىء من المبادى الطبيعية العلمية وفى اعتقادهم ان إله الشر « هريمان » AHRIMAN كان يطلق جميع الامراض ويسلطها على الناس فيعارضه فى ذلك اهرومازاد AHRUMAZADA إله الخير الذى علم الناس جميع الادوية والاساليب الناجعة لحفظ صحتهم ·

وفى سنة 272 ميلاديا انشئت فى الرها (Edesse) مدرسة للطب كان يتردد عليها الطلاب من الفرس والسريان واليهود وغيرهم فذاع صيتها الى عام 479 ميلاديا حينما اغلقها الملك زانو (Zéno) واطرد وشرد رجالها الذين كانو ينتمون لطائفة النساطرة فالتجأوا لمدينة جنديسابور (Jundisapour) ببلاد فارس فوجدوا هناك من عطف ورعاية الاكاسرة ما شجعهم على تشييد البيمارستانات وتدريس الطب حتى بلغوا فى ذلك شوطا بعيدا واستمر هذا شأنهم الى عهد ظهور الاسلام ·

(1) كانت حضارة بلاد ما بين النهرين معاصرة لحضارة الفراعنة وقد خلفت آثارا عظيمة تبين مدى الرقى الذى وصلت اليها العلوم فى ذلك العهد وخاصة منها الطب ·
وفى سنة 1849 اكتشفت لوحات الطين التى تتألف منها مكتبة الملك أشوربنبال (Assourbanipal) 668 ــ 626 قبل الميلاد فكان لهذا الاكتشاف دور عظيم فى معرفة ما كان عليه مستوى الطب فى العصور البابلية الاشورية وقد تبين من بعض هذه اللوحات ان الكهنة كانوا اذا أرادوا ان يعرفوا حال مرضاهم وما يضمره لهم الغيب عمدوا الى

انشأ هذه المدينة الملك الساساني سابور الاول بن أردشير بابكان في أواسط القرن الثالث بعد الميلاد فجلب اليها عددا وافرا من أهل الروم الذين كانوا وقتئذ تحت حماية ملكهم المنهزم فاليريان (Valerian).

وقد اكرم سابور دورهم في استرجاع علوم الفرس في اليونان والاستعانة

طريقة قرائة الكبد (Hépatoscopie) وهي طريقة للتنبؤ عن الغيب اشبه بقرائة الكف وصلت في ذلك العهد الى درجة كبيرة من التطور والتعقيد واصبح يقام بها في حالات المرض وقبل الشروع في الزواج أو السفر أو الحروب ولقد خلف البابليون نماذج للكبد من الصلصال يرجع تاريخها الى سنة 2000 قبل الميلاد وتمتاز هذه النماذج بدقتها ورقتها من الناحية التشريحية وفي هذا الصدد فهو جدير بالملاحظة ان العرب اكثروا من ذكر الكبد في ادابهم واشعارهم واعتبروها مركزا للعواطف والاحاسيس ولا شك ان هناك صلة متينة ما بين عقائدهم هذه وتقاليد البابليين في هذا المضمار ، كما انه جاء في اللوحات الطينية البابلية ذكر اسماء عدد وافر من العقاقير والادوية التي كانت تقدم للمرضى لتعافي انفسهم ذلك لانه كان يعتقد هناك انها وسيلة لطرد الارواح الشريرة من جسد المريض .

كما عثر ايضا على لوحات اخرى تحتوى على قائمة طويلة من اسماء النبات والاعشاب التي كانت تزرع في حدائق ملوك بابل والتي كانت تستعمل لعلاج المرضى والمنكوبين .

كما انه نقلت الينا لوحة حمورابي (Hammurabi) المشهورة ست فقرات انشئت في ذلك العهد يعني حوالى 2300 قبل الميلاد **دستور المهنة الطبية** فهي مع غيرها من القوانين الاخرى تدل على ما كانت عليه بابل من العظمة واتساع أفق الفكر والمعرفة في تلك العصور العابرة .

ففي بابل كان الطب فرعا من فروع السحر كما كان في مصر العتيقة وآستنبط البابليون الكثير من فنونه فتطور الى ان صار **سحر بابل** مضرب الامثال وانتشر منهم الى العالم القديم باجمعه .

وفي دراسة كثير من الاحجية والتمائم والطلاسم والرقى المستعملة الى يومنا هذا في **البلاد الفارسية والعربية نجد اثارا واضحة للنماذج البابلية** مثل الاسماء المحرفة لآلهة بابل والرموز المختلفة والمربعات الحسابية وفي بعض هذه الطلاسم ظاهرة اخرى تمتاز في تعدد استعمال رقم ستين 60 ومشتقاته والمعروف ان هذا الرقم كان يمثل الوحدة الحسابية في بابل مثل الستة اليومية (décimes) في ميدان التجارة ولا يزال اثر هذه الوحدة الحسابية باقيا الى يومنا هذا والساعة تنقسم الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية والدائرة الى 320 درجة الخ .

بمثلها فبعث الى بلاد اليونان يستجلب منها كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية واختزنها فى مدينته واخذ الناس فى نسخها وتدوينها ٠

ولقد عين الملك سابور الثانى فى عهده طبيبا يونانيا اسمه ثيادورس كى يتعاطى صناعة الطب وتعليمه بتلك المدينة فاستمر هذا شأنها الى أواخر القرن الخامس م٠ الى أن التجأ اليها جمع من الفلاسفة والاطباء النسطوريين القاطنين بالرها EDESSE وكانوا فارين بسبب اضطهاد العاهل البيزنطى الامبراطور زينو ZENO وفى عصر كسرى أنوشروان (571 – 531 ميلاديا) لجأ اليها عدد من فلاسفة الاغريق الذين شردهم الامبراطور JUSTINIEN وأغلق معاهدهم بأثينا وأطردهم فأكرمهم كسرى وشجعهم على التأليف ٠

ونقل كتب الفلسفة والطب الى اللغة الفارسية ولقد قال القفطى عن أهل جنديسابور : ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم حتى أصبح علاجهم على طريقة اليونان والهند لانهم أخذوا فضائل كل فرقة فنبغوا فيها وزادوا عليها الكثير٠

والمعروف ان العرب نقلوا أساس طبهم من الشعوب القديمة التى تجاورهم وخاصة من الكلدان **والفرس** والهنود واليونان وأقاموا الى ذلك ما استنبطوه من تجاربهم فتألف لديهم ما يعبر عنه بالطب الجاهلى ٠

ولقد اشتهر فى عصور الجاهلية عدد من اطبائهم أشهرهم كان الحارث بن كلده الثقفى رحل الى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل جنديسابور وجاد فى هذه الصناعة وباشر بارض فارس وعالج وحصل له بذلك مال وافر وصيت عظيم الى ان اشتاق بلده فرجع الى الطائف واشتهر طبه بين العرب ٠

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر من كانت به علة ان يأتيه فيسأله عن علته ويعالجها والمعروف أن **الطب النبوى** كثيرا ما كان متأثرا مما أتى به تجارب الحارث بن كلده وحكمه القيمة فى ذلك الميدان وللحارث عدة مصنفات منها كتاب المحاورة فى الطب بينه وبين كسرى أنوشروان ٠

وعندما زالت دولة بنى أمية ورجع الحكم لبنى عباس أسس أبوجعفر المنصور

مدينة بغداد سنة 147 هـ وجعلها عاصمة لملكه وكانت مدينة جنديسابور الى ذلك الحين كما كانت لاجيال عديدة مضت محطة للرحال وكعبة القاصدين من رواد صناعة الطب والتدوين فيه ٠

واستمر هذا شأن جنديسابور الى تأسيس مدينة بغداد وكان المنصور فى بداية أمره أصابه مرض صعب بالمعدة فجمع حاشيته يسألهم عن أمهر طبيب يعرف فى سائر المدن فأجابوا : ما فى عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع (١) رئيس أطباء جنديسابور فأتى هذا الاخير فبراه وبقى فى خدمة المنصور الى ان مرض بدوره واستأذن المنصور للرجوع تاركا أحد تلاميذه المدعو عيسى بن شهلا فى مكانه وكان جورجيس قد ترك سابقا بجنديسابور ابنه بختيشوع الذى تولى صناعة الطب بمهارة وحكمة كادت ان تفوق ما وصل اليه والده وفى ذلك العهد لحق بالرشيد صداع شديد عجز أطباؤه عن علاجه فسأل عن أمهر الاطباء فقيل له فهو العالم العلامة بختيشوع أكبر أطباء جنديسابور فدعاه الى بغداد وأصبح عمدة العلم والحكمة فى بلاط الملك ولما توفى ورثه ابنه جبريل وكان أول اتصال جبريل بالرشيد ان طلبه لعلاج جارية له تمطت فوقع فك بيدها فلم تستطع إبراءها بعد ذلك والاطباء يعالجونها (بالتمريخ) والادهان دون فائدة فشفاها جبريل بحيلة لطيفة قد سر منها الرشيد كثيرا ورفع مكانته أكثر فأكثر ٠

ابتدأت حركة النقل والترجمة فى العصر العباسى فى أيام المنصور بنقل جورجيس بن بختيشوع كتبا طبية من اللغة اليونانية الى العربية غير ما ألفه فى السريانية كما نقل كتبا فى المنطق والطب وكان الفرس قد نقلوها من اليونانية ونقل ابنه كتبا كثيرة من كتب ابقراط وغالينوس أمره المنصور بنفلها وفى ايام الرشيد انشىء بيت الحكمة واسندت رئاستها الى سلما الطبيب وجمع الرشيد عددا من التراجمة منهم طبيبه يوحنا بن ماسويه Jean le MESUE ورغبهم فى نقل العلم من لغات اليونان والسريان والفرس

(١) كان جورجيس من السريانيين الذين ينتمون الى طائفة النساطرة ٠

أما المأمون فكان واسع الفكر شغوفا بالاطلاع محبا للعلم والعلماء وكان عصره من أزهر العصور الاسلامية وتقاطر فى ذلك العهد على بلاط الملك المترجمون من انحاء جزيرة العراق والشام وفارس وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية والنبطية واللتينية وغيرها وكثر فى بغداد الوراقون وباعة الكتب وتعددت مجالس الادب والمناظرة فاصبح اهتمام الناس منحصرا فى البحث والمطالعة وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون الى عدد من خلفائه حتى انتقلت أهم كتب العلماء الى العربية وفى أواخر عصر الترجمة بعد منتصف القرن الرابع الهجرى ظهرت بشائر عهد جديد هو **عهد التأليف والابتكار** ويعتبر كتاب فردوس الحكمة فاتحة لهذا العصر الجديد النير الذى وصل الى ذروته فى عهد الرئيس بن سينا وابتدأ يضمحل بعد بداية القرن الحادى عشر الميلادى وقد اشتهر اربعة من هؤلاء المؤلفين العباقرة اقتبسوا الكثير مما كتبوه فى مؤلفاتهم ولكنهم زادوها اتقانا واضافوا اليها الكثير من تجاربهم وعصارة افكارهم وهؤلاء العباقرة الاربعة كلهم من بلاد الفرس العريقة الماجدة وهم : على بن ربن الطبرى ، ومحمد بن زكريا الرازى ، وعلى بن عباس المجوسى ، وعلى أبو الحسن عبد الله بن سينا .

س. ع.

التعرف على حقوق الانسان وتطورها

بقلم عز الدين الشريف

من المفترض ان الشعور بالحق ظهر مع قدوم جدنا المشترك على وجه البسيطة ۰ فمن الوقت الذى دار فيه الحوار بين أبينا آدم وأمنا حواء حول « تفاحة شيطانية » ومهما كان ذلك الحوار مقتضبا وبدائيا ، فاننا نجد فيه البذور الاولى المشيرة للحق ، والعبارات القليلة ذات السبب الواحد او الوتد الواحد التى تبادلها المتكلمان والمنحصرة فى أنا ، أنت ، تدل على فصل ما هو له عما هو لها ۰

ثم جاء الابناء وتكونت العائلة واصبح استعمال عبارة ثالثة أمرا ضروريا۰ وصارت « هم » كثيرة التوارد وسط هذه العائلة الصغيرة حيث الاعمال بسيطة ، والحياة سهلة والحاجيات ضئيلة ۰

وسرعان ما اتسعت دائرة العائلة وتعددت الحاجيات۰وجاء الوقت الذىوجب فيه الالتجاء الى سلطة لتعيين حق كل فرد من افرادها،فأنيطت هذه المهمة بدون نزاع بعهدة « أبى العائلة » الى اليوم الذى تكاثرت فيه العائلات وأصبحت عشائر والعشائر أمما ۰ وعندها أصبح من العسير ، ان لم نقل من المستحيل ، أن يقع التوفيق بين حاجيات كل انسان يتنفس ، ويتحرك ، ويعمل ، وبين حقه لارضائها ، اذا وقعت مقابلتها بنفس الحاجيات المتأكدة الضرورية التى يطالب بها غيره من البشر فالحق الطبيعى لكل نفر والمرتبط بالخليقة وبغريزة البقاء ، يتضارب وحقوق العائلة ۰ والعشيرة والأمة ۰ ومما لا مندوحة منه ان كل انسان يعيش فى هذه المجموعات يعمل مثلما يتنفس ، وان كل عمل يأتى بمسؤولية قد تمس تلك العناصر التى يجب ان يكون بينها توازن مستمر فى مصالحها ، وذلك بالسهر على ان ينتهى حق الفرد حيث يبتدىء حق غيره وقد تبين بسرعة وبطبيعة الحال سلطة « أبى العائلة » التحكيمية غير كافية ۰ فتخلت عن مركزها للسلطة الملكية التى احتكرت تحت

سلطانها جميع الحقوق حتى ان الناس صاروا لا ينتفعون بها الا بارادتها وبفضل منها ٠

فالانسان يتوسل الى هذه السلطة المستمدة سيادتها من القوة الالاهية كي تتفضل عليه بالحياة ، وترخص له بالعمل ، وتعامله بكرم وسخاء كأي فرد لا يحمل حقدا أو عداء ضد اى كان ٠

وقد تأتي ان فاز الانسان بارضاء هذه الضالة الطبيعية التي ينشدها ٠ ويرجع الفضل فى اول حدث من هذا القبيل سجله التاريخ الى سيروس العظيم ، مؤسس بلاد الفرس منذ خمسماية والفى سنة ٠ فمن المتفق عليه ، بصورة عامة ، أن البشرية تدين له بأول تصريح بالحقوق التى منحت للانسان ٠

وقد اكتشف هذا التصريح اثر حفريات اجريت تحت معبد وكان منقوشا بحروف مسمارية على اسطوانة من الطين محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»٠ وبمناسبة الذكرى الخمسمائية بعد الالفى سنة ـ وتخليدا لذكرى سيروس العظيم اخذت نسختان على الذهب من تلك الاسطوانة وستعرضان بصورة مستمرة بقصرى الأمم المتحدة بنيويورك وجوناف ٠

ـ تصريح سيروس ـ

« أنا كوروش (سيروس) الملك العظيم ، ملك الدنيا ، القوى

« ملك بابلونة ، ملك سمر وعقاد

« ملك العوالم الاربعة ، ابن قمبوجية (قمبيز)

« ملك كبير وملك آنشان ، منحدر من فرع

« ذى سلطان أبدى يحب بعل ونيبو

« سلسلة الملوك التى ينحدر منها ، وسلطته موضع حب هذين الالاهين

« لما دخلت تين ، سور (اسم بابلونة القديم) وسط حبور الشعب وتربعت على هذا العرش

« فان مردوك السيد الكبير، امال نحوى قلب البابلونيين الطاهر الكريم:

« فلم انفك افكر فى تقديس الاله

« وجيشى العظيم يسير فى سلام ببابيلونة
« ولم أشأ ان اسمح لأى كان ، لأى رجل
« بأن يضيق الخناق على ابناء بلدى سومر وعقاد
« المدينة ومعابدها اخذت كل عنايتى
« وامكن للبابليين ان يباشروا طقوس دينهم ...
« فقد منعت نهب مساكنهم
« ولم اسمح قط بان يقاسى السكان
« بهذه المناسبة مرارة البؤس والشقاء
« وكانت أعمالى محل رضى مردوك ، السيد الكبير
« وكافانى مردوك ، أنا ، كوروش الذى اقدسه ،
« كما كافأ ابنى قمبوجية الذى ولد من صلبى
« وجميع جنودى ، وكلنا ، من صميم قلبنا
« نمجد فى حماس كبير الوهيته العليا
« ومن البحر الاعلى الى البحر الاسفل
« فان جميع الملوك المتربعين على عروشهم ، على وجه البسيطة ،
« وجميع ملوك الغرب الذين يعيشون تحت الخيام
« قدموا لى جزيتهم الهامة ، وجثوا معا
« على قدمى بالمدينة .
« ومن ذلك الوقت ... وحتى مدن آشور ، وسوز ، وآجار ، .
« واشنونة ، وزمبان ، ومرنو ، ودار
« وحتى مخبىء قوتى والمدن المقدسة
« الكائنة وراء نهر دجلة ارجعت
« هذه الالهه الى ديارها واسكنتها
« معابد حقيقية ثابتة ، وجمعت شعوب
« جميع هذه الاصقاع ، واعدت بناء منازلها
« ثم بامر من السيد العظيم ارجعت فى امان آلهة
« سومر وعقاد الى قصورها الساحرة

« تلك الآلهة التى اسكنها نابونيد بابلونة
« خارقا فى ذلك ارادة سيد الآلهة
« وانى لاسأل الآلهة التى ارجعتها الى معابدها
« ان تتدخل فى صالحى لدى بعل ونايبو
« خلال صلواتها حتى تكون حياتى
« طويلة ، وان يقولوا لمردوك ، مولاى
« ان كوروش الذى يعبدك ، وابنه قمبوجيه ٠٠٠٠ »

ذات الاهية ، ذات سلطة مطلقة ، واعية كل الوعى بقدرتها ، وفى أوج عزتها ونصرها ، تفرض على نفسها ، وبمحض ارادتها ، مدا من سلطانها ، وتسلم بان لكل نسان ــ حتى من بين من قهرتهم ــ حق التملك ، وحرية الاعتقاد ، ومباشرة طقوس دينه ، وتمجيد آلهته وصيانة معابدها بدون اى مانع !

أليس هذا عملا عجيبا ونبيلا ؟

حقا إن بلاد الفرس ، فى إشراقها وأبهتها ، قد استوجبت شكر البشرية قاطبة ٠

وهذه المأثرة جديرة بالاعتبار والاكبار خصوصا وانها صادرة عن وعى هادىء رصين لم يتأثر بأى ضغط خارجى عندما رخص وحمى حرية الفكر واحترام الملكية ٠ وان كان من المتوقع ان يصادم رأى المنتصرين ويغضب آلهتهم ، فانه شرع فى ارجاع آلهة المغلوبين الى اماكنها وأمر باعادة بناء منازل السكان ٠

فسلوك كهذا ينم عن علو همة ، واقدام لا ريب فيه ، وعن سعة نظر تثبت وتقر سمعة هذا البناء العظيم الذى يطيل الحديث فى نخوة وانشراح عن منبت يبرر صعود بلاد الفرس الى قمة الحضارة فى ذلك العهد الذى مثلت فيه دور الوسيط اللامع بين الشرق والغرب ٠

ومن ذلك العهد بقيت بلاد الفرس مرتبطة بذلك الدور ، وفية له ، وهضمت المبادىء التى جاء بها سيروس العظيم وتعودتها ٠ وها هى تنشىء منذ قليل « طواقم خدمة البشرية » وهى تستعد للقيام فى اجل قريب بدور المساعدة فى العالم ٠

واخذت هذه المبادىء السامية تشق طريقها فى تباطؤ وتعثر ، لأن مبادىء الحرية والمساواة والتسامح لا تكتسى معناها الحقيقى ولا تبرز الا حيث يسطع نجم الحضارة ٠

فتلك كانت صورة الحال عند ظهور الاسلام الذى جعل من هذا الدين عنصر ايمان ونظام للحياة الاجتماعية ٠ وان هو تألق نوره فى اعلى مكان من سماء الحضارات ، فذلك بفضل اعطائه الاولوية الى الحرية والمساواة والمؤاخاة فى الشريعة ٠ وقد ذكرت هذه الحقيقة غير ما مرة لتفسير السهولة التى غزا بها العالم واستطاع ان يشع ذلك الاشعاع بفضل مبادئه التى التحمت بها جموع متفرقة وتبوأت ، فى المستوى البشرى ، مكانا لم يزل مرموقا الى اليوم ٠

وقد لاحظ بونوا ميشان أن الشعور بالمساواة كان يظهر فى بساطة اخلاق (سيدنا) محمد (صلعم) وتواضعه ، وفى بساطة اخلاق خلفائه وتواضعهم (راجع ابن سعود أو ولادة مملكة ٠ نشر آلبان ميشال ، ص 56) ٠

كما اجاد صبحى المحمصانى الاشارة فى كتابه المعتبر (Legal systéms in the arab states (Beyrut 1957 الى هذه الخاصية فى الاسلام « الدين المقام على الوحدة الاجتماعية ، والذى جاء بمبدإ الدولة والحق العام ونظام الشورى فى الاحكام ، آمرا بالعدل والانصاف ، وبالمساواة والتآخى ، وباحترام حريات الشخص والملكية ٠٠٠ (انظر ص 141 والتابعة لها) ٠ وقد ذكر السور والاحاديث المؤيدة لهذه المبادىء ٠

فلا يمكن الا نفكر فى المقارنة بين الحضارتين المرتكزتين على حقوق الانسان ٠ فبلاد الفرس الاسلامية افادت الفاتح العربى بما بلغت اليه حضارتها من رقى ومكنته من نقلها الى بلاده ٠ فهضمها بدوره وتبناها وواصل ذلك التطور وذلك النمو العجيبين اللذين لم يقفا ويبدآ فى التقهقر والانخذال الا من اليوم الذى حيد فيه عن احترام حقوق الانسان ٠

وما منحه سيروس بمحض ارادته من حقوق للبشر ، فقد جعله الاسلام قاعدة مذهبية اجتماعية وبندا من بنود الدين ، قبلته الجموع التى دخلت فى دين الله افواجا ٠ وقد انخفض اشعاعه من اليوم الذى تفككت فيه الشريعة الاسلامية واصبح مبدأ المساواة موضوع جدال ونقاش ٠

وقد أضلهم الاعجاب بنفسهم فارادوا ان يميزوا بين المسلم العربى والمسلم الاعجمى لأن العربى صار يطالب بالتمتع بمعاملة خاصة بالنسبة الى غيره من المسلمين فى حين ان الشريعة الاسلامية تصرح بدون مراء **بان لا فرق بين عربى واعجمى الا بالتقوى** ٠

وقد تسبب هذا الادعاء من بعض العرب المتطرفين ردود فعل عديدة منها حركة الاحتجاج والشقاق التى ظهرت بالقيروان فى اواخر القرن الثامن وكذلك بفاس وتهارت ٠

« فمؤسس هذه المدينة ابن رستم ـ وهو رجل نبيل فارسى الاصل حكم بالقيرَوان فى عهد انتصار الخوارج ٠ ولما انهزم هؤلاء المارقون ، فر نحو المغرب الاوسط حيث كان عدد الخوارج وافرا وأسس هناك تهارت أو تاهرت على عشرة أميال غربى تاهرت الحديثة ٠ وبقيت هذه المدينة من سنة 761 الى سنة 908 ميلادية مقر الرستميين وعاصمة الخوارج البربر (كتاب الفن الاسلامى ، تأليف جورج مرسى ـ الجزء الاول ـ نشر أوقست بيكار 1926 ـ ص 6) ٠

وهكذا فان « حقوق الانسان » التى برزت للوجود ووقع الاعتراف بها بفضل شهامة سيروس صاحب السلطة المطلقة ، قد أصبحت ، عند ظهور الاسلام ، دعامة المجتمع الاسلامى الخاضع للشريعة المحمدية ٠ فتطبع المسلمون بهذه الحقوق ، وشعورهم بشرعيتها جعلهم يثورون بدون تردد ، ويطالبون باحترامها كلما احسوا بأنه وقع خرقها ٠

فالمراحل التى قطعت طويلة جدا ، وما كان مجرد ارادة ملك اصبح عنصرا أساسيا للوعى العام فى المجتمع الاسلامى ٠

ولم يكد يظهر هذا التطور حتى اخذ يسن طريقه ويتسرب الى مجتمعات أخرى ثارت بدورها بعنف شديد وفرضت الوحدة القومية وحطمت حيف الطبقية الاجتماعية ٠ وهكذا اندلع الانقلاب الفرنسى الذى أقر « حقوق الانسان » اقرارها النهائى وتبنيها من طرف الأمة ، وانتشار الثالوث المتركب من الحرية والمساواة والتآخى ، ظهر فى دستور أمم أخرى اقرت العزم ـ من ذلك الوقت ـ على ان تحقق لابنائها بعض الحقوق الضرورية للكرامة الانسانية ٠

وقد انتشر هذا الشعور بالكرامة ، وما بذل من عناية لصيانته ، ـ انتشارا كبيرا ـ على الرغم من محاولات كبته من طرف الرأس مالية ، والاستعمار ، والسيطرة الظلومة ·

وبما ان الانسان لا يحظى بالعطف والرعاية الا بعد ما يكون قد تحمل اشنع الكوارث ، فانه لم يقع التفكير فى منحه حقوقه واعتبارها قاعدة مطلقة وعنصرا ضروريا لحياة الامم الراقية حيث الكرامة تحترم ، الا بعد الحرب العالمية الاولى 1914 ـ 1918 ·

وكان الاربعة عشر بندا التى صرح بها ولسن وانطلاقة جمعية الامم ترمى الى هذه الغاية التى لم تدرك ··· حتى بعد الحرب العالمية الاخيرة والمؤسسة العظمى للامم المتحدة·

لكن التقدم المدهش الذى سجله العلم ، واطلاعنا على مقدرته على التهديم والتخريب ، وانتشار وسائل الاعلام بكامل المعمورة ، ووفرة استعمالها ، وسهولة المواصلات التى قربت الاقطار والقارات بعضها ببعض وجعلت المسافات بينها تقطع فى بضع دقائق ، كل هذا جعل الاجناس يتعارفون وتندمج بسهولة · وساد التفهم بين نخبة كل من الامم لمقاسمة الشعور بكرامة الانسان والاهتمام بحمايتها ونموها ·

فالحرب العالمية الثانية هددت البشرية باجمعها ـ وحتى الكون ـ بالفناء ، ومن ذلك الوقت اقتنع الانسان بوجوب ابطال الحرب وبأن بلوغ هذه الغاية يكون بالتقليل من الحيف وتحقيق ما يلزم من كرامة لكل انسان ·

وهكذا « حقوق الانسان » عمت المعمورة ·

وقد ايدت ذلك الجلسة العامة لجمعية الامم المتحدة · ومنذ سنة 1948 تبنت التصريح العالمى لحقوق الانسان بالحيثيات التالية والجديرة بالاعجاب :

حيث ان الاعتراف بالكرامة المرتبطة بكل فرد من أفراد المجموعة البشرية ، وبحقوقه المتساوية التى لا تباع ولا تشترى هو اساس الحرية والعدالة والسلام فى العالم ·

وحيث ان انكار « حقوق الانسان » واحتقارها اديا الى اعمال وحشية يثور منها الضمير الانسانى وانه وقع التصريح بان حلول عهد يكون النـاس فيه احرارا فى تعبيرهم وعقيدتهم ، آمنين من الخوف والبؤس ، هـو أسمـى مـا يصبو اليه الانسان ٠

وحيث انه يتأكد حماية « حقوق الانسان » بطريقة شرعية كى لا يضطر الانسان ، الى الالتجاء فى نهاية الامر ، الى الثورة على الظلم والجبروت ٠

وحيث انه يتأكد تشجيع نمو علاقات الصداقة بين الامم ٠

وحيث ان الامم المتحدة صرحت من جديد فى قانونهـا ، بايمانها بحقـوق الانسان الاساسية ، وكرامته وبقيمة الذات البشرية ، وبالمساواة فى حقـوق الرجال والنساء وأقرت عزمها على تشجيع التقـدم الاجتمـاعى وعلى تحسين وسائل الحياة فى حرية اكبر واوسع ٠

وحيث ان الدول الاعضاء التزمت بأحترام حقـوق الانسـان والحريـات الاساسية احتراما شاملا حقيقيا وذلك بالاشتراك مع هيئة الامم المتحدة ٠

وحيث ان تصورا مشتركا لهذه الحقوق والحريـات يكتسى اهميـة عظمى لانجاز هذا الالتزام ٠٠٠

وفى الاتفاقية الاروبية لحماية « حقوق الانسان » المبرمة بروما فى 4 نوفمبر 1950 ، ارادت الهيئة الاروبية ان تكسب هذا التصريح القوة التشريعية التى تنقصه ، فجعلت المبادىء الاساسية من التصريح بحقوق الانسان اجبارية ، وفى 19 ديسمبر 1966 صادقت الجلسة العامة للامـم المتحـدة بالاجمـاع على المواثيق التى اعدتها اتفاقية البـلاد الاروبيـة ٠ امـا الميثـاق الاول المتعلـق بحقوق الانسـان المـدنية ، والسيـاسية ، والاقتصـادية ، والاجتمـاعية ، والثقافية لم يحظ الا بموافقة اربع دول بينما يجب مـوافقة خمس وثـلاثين دولة ليدخل فى حيز التنفيذ ٠٠٠

فحقوق الانسان معترف بها منذ الفين وخمسمائة سنة على اقل تقدير ٠ وقد اتفقت الامم ، فى ايامنا هذه على ان :

الفصل الاول : جميع البشر يولـدون أحـرارا ومتسـاوين فى الكـرامة والحقوق وانهم رزقوا عقلا وضميرا وانه يجب ان يكون سلوكهم ازاء بعضهم بعض فى جو أخوى ٠

الفصل الثانى : اولا : لكل حق المطالبة بجميع الحقوق وبجميع الحريات المعلن عنها بهذا التصريح بدون اى ميز خصوصا فى الجنس او اللون ، او الجنس البشرى (ذكر أو انثى) أو لغة ، أو دين ، أو نزعة سياسية ، أو أى نزعة غيرها ، أو منبت قومى ، أو اجتماعى ، أو ثروة ، أو ولادة ، أو غيرها من الحالات •

ثانيا : لن يكون أى تمييز مقام على المبدإ السياسى ، أو الادارى ، أو الدولى للبلد ، أو القطر الذى ينتمى اليه الشخص ، سواء أكان هذا القطر مستقلا ، أو تحت حماية ، أو غير مستقل ، أو خاضع لضرب من ضروب تحديد السيادة •

الفصل الثالث : لكل شخص الحق فى الحياة ، والحرية ، والامن على شخصه •

وهذا الشعور المشكور قد انتصر فى النهاية ، لكن المعركة لم تزل قائمة بين الملاك والحيوان لتطبيقه ، وكان القوم غير مستعدين لتكذيب ميكروميقاس ••• حسبما يتبين ذلك من المناظر المحزنة التى نشاهدها فى العالم •

وتعتقد بعض النزعات الجديدة ان الحيوان سينتصر على الملاك الملعون ، المنبوذ ، المشكوك فيه ••• ولذا تراها فى رقاعتها وتهجمها تتهافت ، غير منتظرة قدوم غد ، لتقتطف من اليوم زهور الحياة بما فى الزهور من اشواك •

ع• ش•

أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكي
رائد الغنائية في الشعر الفارسي

بقلم: علي التابي

تعتبر اللغة الفارسية (زيان فارسى) أعذب لغة فى الشرق ، (1) عمقها الخيال ووشحتها العاطفة بصور شعرية استمدت رونقها من جمال ارض البلابل ومن نشدان النفسية الفارسية للمتاع من كل سبيل ، فهى موئل لغنائية أبى عبد الله جعفر الرودكى ولهفة عمر الخيام وأغانى حافظ الشيرازى وقصص جلال الدين الرومى ونظامى الكنجوى ، لكنها لم تصل لهذه الدرجة من العذوبة والرقة الا بعد تجارب شعرية موصولة أصابتها فى ظل التشجيع الذى وجده الشعراء من طرف الامراء وحكام الاقاليم ، وكان ذلك نتيجة لحصول الفرس على الاستقلال الذى كافحوا من اجله منذ فاجعة كربلاء سنة (61 هـ 680 م) الى قيام دولهم (الطاهرية والصفارية والسامانية) فى القرن الثالث الهجرى فقد استغلوا مقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (صلعم) وزوج بنت آخر ملك من ملوك الدولة الساسانية ، وانضموا لال البيت يبكون الفقيد ويتحينون الفرصة للانقضاض ، وانطووا على أحزانهم ومطامحهم فى استعادة المجد الضائع وبعث شخصيتهم بكل مقوماتها فشاركوا فى كل الاحداث والوقائع التى جدت فى المجتمع الاسلامى حتى قيام تلك الدول فى الشرق الاسلامى القصى (خراسان) وما وراء النهر . وكانت الدولة الطاهرية عربية الثقافة والتقاليد ، أما الدولة الصفارية فقد شجعت على احياء اللغة الفارسية والادب القومى فظهرت بواكير هذا الادب ، وفى ظل السامانيين وجد الكتاب والشعراء التشجيع والرعاية فنشأ الادب الفارسى عذبا ريانا ، وظهر شعراء عظام أحيوا اللغة الفارسية ، وتركوا ميراثا شعريا تأصلت صوره وطرائقه فى الشعر الفارسى حتى يومنا هذا ، وكان أعظم هؤلاء جميعا الشاعر الكفيف أبا عبد الله جعفر بن محمد الرودكى الذى ابدع فى قول الشعر وابتكر اشكاله وموضوعاته ، وفتق اللغة

(1) الادب الفارسى لـ A-J. Arberry من كتاب « تراث فارس » ترجمة محمد كفافى وآخرين ط دار احياء الكتب العربية 1959 ، ص 293 — 295 .

عن اخيلة زاخرة تعج بالحركة والالوان ، فتهافت الشعراء على الاقتداء به ، مدحه احدهم بقوله :

لولا شهود الجود انكر سامع	ما قاله حسان فى غسان
وترى ثناء الرودكى مخلدا	من كل ما جمعت بنو سامان

وقال فيه شهيد البلخى أحد الشعراء السامانيين ما ترجمته

« ان شعر الشعراء سيظل كلاما عاديا اما شعر الرودكى فلوحات زاخرة متموجة •

قول « مرحى » و « أحسنت » للشعراء مدح ، وقول « مرحى » و « احسنت » للرودكى هجاء • » (2)

ان ريادته للشعر الفارسى وابتكاره لطرائقه وتدبيجه لصوره جعلت مؤرخى الادب الفارسى كنظامى عروضى السمرقندى ومحمد عوفى ودولتشاه يعتبرونه رائدا للشعر الفارسى الاسلامى ويلقبونه بالاستاذ ، قال عنه عروضى انه (استاذ فن الشعر فى العالم) (3) وهو ايضا (سلطان الشعراء) (4) وفقا لما ورد فى بيت (لمعروف البلخى) من شعراء القرن الرابع •

« سمعت من الروكى (سلطان الشعراء) قوله « لا تعتقد فى احد فى هذه الدنيا الا فى الفاطمى » (5) • ويذهب البلعمى وزيراسماعيل بن أحمدالسامانى الى أن الرودكى شاعر لا نظير له بين شعراء العرب والعجم •

كما سمى بابى الشعر الفارسى •

فمن هو الرودكى « استاذ فن الشعر فى العالم » و « سلطان الشعراء » و « ابو الشعر الفارسى » ؟ هو ابو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى (269 هـ ،

(2) ونصهما بالفارسية: سخن ماند شعر شعراء رودكى راسخنش تلوين است شاعران راخه وأحسنت مديح « رودكى راخه وأحسنت هجاست » •

(3) محمد عوفى : لباب الالباب ــ ط• ليدن ــ 1903 ص 6 •

(4) نفس المصدر والصفحة ، احمد امين الرازى : هنت اقليم ــ ط• طهران ص 18 •

(5) ارزودكى شيدم سلطان شاعران كاندر جهان بكس مكرو حزفاطمى

882 م – 329 – 940 م) ولد برودك احدى نواحى سمرقند (6) بتاجكستان الحالية ونشأ فيها نشأة فارسية اسلامية كنتيجة للاتجاه الثقافى والقومى الذى ساد خراسان وما وراء النهر ايام السامانيين ، تنفس فى جو استقلالى وحين شب ارتبط بالبلاط السامانى الذى احيى اللغة الفارسية وشجع الادب وجــلا الشخصية القومية كما شجع الثقافة العربية فظهرت نهضة ثقافية اسلامية قوامها اللغتان العربية والفارسية (7) ، واختص الامير نصر الثانى ابن احمد الشاعر بعطفه واغداقه فاتخذ منه شاعره الاثير ، وكان الشاعر مهيأ لذلك فقد ثقــف الادب العربى وبقايا الادب البهلوى وتغلغل فى الاوساط المختلفة يتلقف اللغة الفارسية التى احتفظ بها خاصة رجال الدين والضاربون فى الصحارى وقمم الجبال كذلك أخذ عنهم أدب الاسطورة والحكمة والطبيعة ، ولم تفته تلــك الارهاصات الشعرية الاسلامية التى ومضت فى أفق الطاهريين والصفاريين وذلك برغم ضآلتها فاستفاد منها • من كل ذلك تكون له شغوف بالشعر وايمان برسالة اللغة الفارسية (زبان فارسى) كلغة ثقافية قومية تتسع للفكر بقدرما تتسع للخيال وتنغرس فى حدائق فارس ومكامن القوم فتتأكد قدرتها ويعمق حسها، وتصبح من خلال تلك التجارب المتجددة اللغة الثقافية الاسلامية الثانية. لا نشك فى أن الشاعر الرودكى هذب حس هذه اللغة وطوعها للتعبير عن أدق الاحاسيس وأعمقها بما أتاحته له التجربة فى تلك البيئة المنعزلة نسبيا عــن المد العربى ، وأهميته كشاعر تكمن فى عملية الاحياء واكساب اللغة حسا منطلقا لا يحده تعثر ولا قصور ، ورغم أن كثيرا من الشعراء سبقوه فى عهد الطاهريين والصفاريين الى قول الشعر الفارسى ، وأن منهم من أثر عنه ديوان كحنظلة الباذغيسى (8) كما أن وفرة من الشعراء عاصروه وبرزوا فى قول الشعر كأبى الحسن الشهيد والفرالاوى وأبى زراعة معمر الجرجانى وأبى المظفر النيسابورى

---

(6) وفى معجم البلدان (روذك بضم أوله وسكون ثانيه وذال معجمة مفتــوحة وآخره كاف ، من قرى سمرقند)

(7) ويزعم ذبيح الله صفا دون دليل أن السامانيين شجعوا اللغة الفارسية على حساب العربية ، والبهلوية ، راجع :

Z-SAFA ; Anthologie de la poésie persane XI - XX Siècle. Textes choisis troduits par G. Lazard, R. Lescot et H. Massé Gallimard 1964 P. 16

(8) ورد فى « جهار مقاله » ط بريل بليــدن 1909 ان عبــد اللــه بن حمــد الججستانى قرأ بيتين فى ديــوان حنظلــة البادغيسى الشاعــر الطاهرى فتحمس لنيل الامارة » وراجع حواشى الكتاب ص 123 •

فان احدا منهم لم يبلغ ما بلغه من روعة فى التعبير وقدره على التصوير ونفاذ إلى أعماق اللغة ، وهذا ما عناه أمين أحمد الرازى مؤلف (هنت اقليم) (9) فى قوله « وبالرغم من انه انه ظهر فى زمان آل طاهر وآل الليث عدة شعراء مثل حنظلة البادغيسى والحكيم فيروز المشرقى وأبو سليك الجرجانى فان راية الكلام قد ارتفعت خفاقة فى عهد آل سامان وكان الرودكى قدوة الشعراء فى ذلك الزمان » ويحدد ذلك بدقة السمعانى فى الانساب (10) و « يقال انه اول شخص أجاد الشعر بالفارسية » ويقول المنينى فى شرح تاريخ اليمينى (فهو أول شخص قال الشعر اللطيف بالفارسية) ، ابتكر اشكاله وموضوعاته وبثه كل شوقه وحسه وركز فيه هذا القلق الحضارى العاصف الذى شد اليه النفسية الفارسية فأملى عليها هذا التوثب الى المتاع والتهافت على اللذة سواء أكانت مادية أم روحية إن تأثير الرودكى فى تلوين الاخيلة الفارسية وطبعها بطابع لذى عنيف واضح فى أشعار فارس على مدى العصور ، ورباعيات الخيام فى شكها ولوعتها، فى توثبها وتمزقها بين الارض والسماء ، فى نزوعها اللذى وعميق تساؤلها ، تبدو صورة واضحة لتاثر الخيام بالرودكى ، فقد هام الشاعر بالخمرة والمتاع ولون أخيلته بهذه الغنائية الفارسية المسرفة التى يعتصرها القلق ويندفع بها الى مسالك لذية تبدو متضاربة فى كثير من الاحيان ، تماما كما هام الخيام من بعده متأثرا بأخيلته ونمطه الشعرى (11) ان القلق الكامن هو الذى جعل اللذة العاجلة مثلا أعلى عند الرودكى دون الاسف على ما فات أو الخوف مما هو آت . لذلك كان الرودكى لذيا فى اغراق ، ذاتيا فى عنف ، تاركا طيوف الماضى وذكرياته ، غير آبه بالمستقبل وما يبطنه ، وسبيله الى ذلك وجه صبيح وخمرة مشعة ونغمة مسكرة .

... « عش سعيدا مع ذوات العيون السود فليست الدنيا الا خرافة ودثورا لا ينبغى أن تسعد بما هو آت ... ولا ان تعيش على ذكر الماضى . دعنى وذات الشعر المجعد المسكى الرائحة... دعنى وذات الوجه القمرى التى هى من نسل الحور .

---

(9) ط طهران ص 31

(10) ط. غيب ص 112 .

(11) ذلك ان الرودكى هو الذى ابتكر الرباعى كشكل من أشكال الشعر الفارسى ، راجع مثلا ، شمس الدين محمد بن قيس الرازى : المعجم فى معايير أشعار العجم تصحيح محمد عبد الوهاب القروينى ومدرس رضوى ط الجامعة ص 112 .

سعيد ذلك الشخص الذى تمتع واعطى ، وشقى ذلك الذى لم يتمتع ولـــم يعط ٠

واسفاه ان هذا العالم ريح وسحاب قدم الخمر فكل ما لا بد ان يكون لا بد ان يكون » (12) وهيامه بالخمر كهيامه بذاته لا يقف عند حد ٠

٠٠٠ « تطيع اولا تطيع اخاف انك لا تستطيع التغلب على نفسك ولا أن تهزم جيش الغم عن قلبك ٠ فالاولى أن تحضر الخمر وتشرب ٠٠ » (13)

وهو فى لوحاته الذاتية ينشد التكامل ففيها الحبيب والخمر ولحن الزيـر ونواح السار وهى جماع ما وقف نفسه عليه ٠

٠٠٠ « الآن احتسوا الخمر ٠٠٠ الان اسعدوا فانها اللحظة التى يحمل فيهـا الحبيب نصيبه من صدر حبيبته ٠٠٠

ايها الساقى احضر الخمر واشربها على لحن الزير فان الســار يغـــرد فى المزرعة والعندليب فى الحديقة ٠ » (14)

والخمر عنده اساس للاصالة والرجولة وتذليل الصعاب وتجاوز كل تحجر وانغلاق ٠

٠٠٠ « يظهر الخمر شرف الرجولة ٠٠ انه يظهر الشـريف الارومـة من النقود التى يشتريه بها ٠

---

(12) لقد صاغ عمر الخيام هذه المعانى فى قوله

لا تشغل البال بماضى الزمـان   ولا بآتى العيش قبـــل الاوان
واغنم مـن الحاضـر لذاتـــه   فليس فى طبع الليـالى الأمـان

« رباعيات الخيام ترجمة احمد رامى ط سادسة القاهرة 1958 ص 60

(13) يقول عمر الخيام فى هذا المعنى :

يا طالب الدنيا وقيـت العثـار   دع أمل الربح وخـوف الخسار
واشرب عتيق الخمر فهى الـتى   تفك عن نفسـك قيـد الاسـار

الترجمة العربية ص 78

(14) فى هذا المعنى يقول عمر الخيام :

لا طيب فى الدنيا بغير الشراب   ولا شجى فيهـا بغيـر الرباب
فكرت فى احوالها لـــم أجـــد   أمتع فيها مـن لقاء الصحـــاب

الترجمة العربية ص 70

ويكشف عن سيء الاصل ... ان افضالا كثيرة لهذه الخمر .

فكل وقت يحتسى فيه « الرجل » الخمر يكون وقتا لطيفا خاصة اذا ما تفتح الورد والياسمين فكم من حصن منيع فتحه الخمر وكم من عقدة جديدة انحلت بـه .

فكم من وضيع بخيل شرب الخمر فاصبح كريما ينثر الدر فى الدنيا »

وكيف يستسيغ تحت ذاتية مفرطة ان يوقع على الصنج دون ان تدار الخمرة العتيقة ... « لقد مسك الرودكى الصنج ووقع .. فصب الخمر فلقد اشاع النغمات تلك الخمرة العقيقية اللون كل ما شاهدها لم يميزها عن العقيق الحقيقى المصهور فجوهرهما واحد ... لكن بالطبع هذا تجمد والاخرى انصهرت تصبغ اليدين من غير ان تسحق ... وتغير على اليافوخ من غير ان يتذوقها » .

وهو أسير هيام غلاب بالخمر ملا عليه دروبه ولحظاته .

... « احضر تلك الخمرة القانية وقدمها الى ... الكاس فى يد والصنـج فى اليد الاخرى .

احضرها من تلك الخمرة التى من اشعتها ... يستحيل فرسخ من الحجارة الى ياقوت » .

وقطرة من خمرته تسقط فى نهر النيل تترك التمساح ثملا مائة عام كما ان الغزال اذا ما اصاب منها قطرة اصبح ليثا عربيدا ...

... « اعطنى من تلك الخمر التى لو تسقط قطرة منها الى نهر النيل لظل التمساح ثملا من رائحتها مائة عام .

ولو شرب غزال السهل قطرة منها لاصبح ليثا عربيدا لا يكترث بالفهد »

وليس عليه من حرج اذا ما شدته الزراية الى تفضيل صوت البربط على التكبير فمن يقص عليه اخبار العاشقين ووساوسهم ؟

... « يا صاح ان صوت بربطه ياتى فى اذنى الطف من التكبير .

فلعل نواح الزير .. يقتنص الصيد من هذه الصحراء المترامية ... يوضع السهم فى جسمه مرة بعد اخرى فتنفذ أنغامه الى القلوب فتارة نائحا واخرى يئن غلبة من انبلاج الصبح الى فحمة الليل .

ان ذلك المنطيق الذى ليس له لسان يفسر اخبار العاشقين فحينا يجعل المجنون عاقلا واخرى يضع السلسلة فى قدم العاقل ٠ »

وهو فى اتجاهه اللذى هذا شاعر غنائى جمالى يتحسس الفتنة فى اى مظهر مى الطبيعة الساحرة ، فى النبيذ المشع ، فى الوجه الحسن ٠

٠٠٠ « فالنبيذ المشع ٠٠٠ والطلعة الحسنة والنغم اللطيف ولو كانت عندى صعبة المنال فانها دائما ذات قيمة فى نظرى » (15)

وقد صاغ الشاعر غنائيته هذه فى صور شعرية بارعة تعتمد اللون والحركة والتعقيد ، وتستمد رونقها من طبيعة ارض البلابل وقد اعتمد فيها على بصر نافذ قبل كفافه وعلى ثقافة متشعبة نفذت الى دقائق الصور والاخيلة والافكار ٠ فأضاء الطبيعة بنور متألق جلل صوره وأكسبها حيوية وتبرجا ٠

يطيل النظر الى الاحياء فاذا هم قمر ساطع يملأ الكون نورا ٠

٠٠٠ « وآآف الاتراك واقفون صفوفا امامه وكل واحد منهم مثل القمر المضىء فى منتصف الشهر » ٠

ولم يكن ممدوحه الا ذلك النور الذى ازاح سجفا من الظلمات ٠

٠٠٠ « نالت البلاد المظلمة بنوره جمالا وصارت الدنيا المظلمة الخربة جنة عدن بوجوده »

والبرق عنده لا يومض وقت الربيع وانما « يضحك » ليبكى السحاب

٠٠٠ « اذا لم يضحك البرق وقت الربيع فان السحاب ايضا لا يبكى بهذه الصورة » ويتتبع حركة الشمس فى طلوعها واختفائها لاحساسه بها احساسا عميقا ٠

٠٠٠ « يظهر وجه الشمس من السحاب بين الفينة والاخرى كالقلعة التى يمر فيها الرقيب » ٠

---

(15) فى هذا المعنى يقول عمر الخيام :

ثلاثة هن أحب المنى ... كأس ، وأنغام ، ووجه صبيح،

الترجمة العربية 46

أى أن الشمس المختفية تحت السحاب كالرقيب لقلعة يظهر بين الفينة والاخرى ٠

واحساسه باللون كاحساسه بالنور حدة ، وتتبعا ووضوحا فطرة حبيبه كالليل فى حلكته وطوله

٠٠٠ « ان طرته لو تسحبها تكون كالليل الطويل فلو تفتحها تكون كالبراثن التى تمسك القلب ٠ ولو فتحوا التجعيدات والالتفافات بعضها من بعض لجمعوا منها احضانا من المسك الطرازى »

وخمرته كالياقوت الجارى فى صفائها وكماء الورد فى طهرها او كبريق سيف مسحوب انعكست عليه اشعة الشمس

٠٠٠ « احضر تلك الخمر التى تخالها ياقوتا جاريا صافيا ٠ او سيفا مسحوبا أمام الشمس ٠ فكانها من الطهر فى الكاس كماء ورد ٠ وكانها من اللطف حلم فى العين الصاحية » ٠

فزحمة الالوان من جهة وتركيب الصور وتعقيدها من جهة ثانية يدلان على انه كان بصيرا قبل أن يكف تعمق الحياة وادام النظر الى صورها وما عليه من تعقيد ٠

٠٠٠ « والخمر المضيئة كسحاب بهمن (جانفى) ٠ لماذا لا تأتى بها الى الحديقة ؟) ووجوه احبائه كالخمر القانية ، وتجعيد طررهم ريحان ٠

٠٠٠ « وكل واحد قد وضع على رأسه تاجا من الياس ٠ ووجهه خمر قانية وتجعيد طرته ريحان »

وعينا الساقى سوداوان وقامته كالسور وطرره مقوسة

٠٠٠ « من يد التركى الاسود العينين الحورى الوجه ٠ قامته كالسور وطرره مقوسة ويتحسر فى شيخوخته على اسنان تناثرت وكانت فى بياضها كالمصابيح المضيئة وفى انتظامها وبهائها كالدرر والمرجان وفى صفائها كقطرات المطر ٠

٠٠٠ « ان كل اسنانى قد احتكت وتناثرت ٠ انها لم تكن اسنانا بل كانت مصابيح مضيئة كانت بيضاء فضية منتظمة كالدرر والمرجان او كنجمة السحر وقطرة المطر »

وخمرته لم تكن على نسق واحد ، انها قلب فهى تارة ياقوت جار واخرى كسحاب بهمن وثالثة كالعقيق الاحمر

۰۰۰ « لقد مسك الرودكى الصنج ووقع ۰۰۰ فصب الخمر فلقد اشـــاع النغمـات ۰

تلك الخمر العقيقية اللون كل من شاهدها لم يميزها عن العقيق المصهـور فكلاهما جوهر واحد لكن بالطبع ۰ هذا تجمد وتلك انصهرت » ۰

ويسرف فى تركيب الصور وتعقيدها فتتالق اخيلته وتتشعب ۰

ان صورة العلل الضاحك بين الزرع من بعيد وكانه قبضة عروس مخضبة بالحناء لم تكن وليدة حدس او سماع ۰ وانما كانت وليدة امعان اصاب كلتا الصورتين

۰۰۰ « والعل بين الزرع يضحك من بعيد ۰ كقبضة عروس مخضبة بالحناء وبين جعله الطرة جيما والخال نقطتها وما الى ذلك يبلغ التعقيد عنفه كما فى هذين البيتين

۰۰۰ « من جعل طرتك (جيما) ؟ انه هو الذى جعل خالك نقطة تلك الجيم ومن خلق ذلك الثغر الضيق الذى تراه فتحسب ان شخصا صنعه من حبة رمان صغيرة شقها نصفين ۰ »

ويزخر عالم رؤاه فتتآلف المشاهد فى شعره ۰

۰۰۰ « والشمس تحتجب ۰۰۰ لو ترفعين الحجاب عن مصباح عينيـــك والذقن يشبه التفاحة تماما ۰ فيما اذا كان للتفاحة خال من المسك ۰ »

ومن كلفه بالالوان يشبه الحياة بعد ان استقبلت المطر والبرد بعروس ارتدت حلة من القصب المزركـش ۰

۰۰۰ « وقد امطرت الامطار المسكية الرائحة مرة بعد اخرى ۰ واتخذت من البرد حلة من القصب المزركش ۰ »

وقد دفعه هذا الكلف بالتعقيد الى ضـرب من التـلاعب فمـن الغـازه فى وصف القلم ۰

اعرج ولكنه يجرى ، ليس له اذن ولكنه يلتقط الحديث
اخرس ولكنه فصيح ، ليس له عين ولكنه بصير بالعالم
له قوة السيف وانسياب الافعى وجسم العاشقين وحالـــة المحزونين

ومن احاجيه قوله فى « المجمرة »

ما ذلك الشيء الذى يضيء او يتوقد فوق ذلك الطبق
مثل ثوب من الحرير وضع تحت شعر عنابى اللون
ساقه على سبيل التمثيل مثل ساعد الحوراء
ورجله على سبيل التشبيه مثل رجل طائر من طيور الماء

والى ذلك فقد ابتكر الرودكى اغلب اشكال الشعر الفارسى (القصيدة والغزل والرباعى) واستخدم الاوزان العربية واضاف اليها بحورا اخرى اشتقها منها مع شيء من التعديل اقتضته طبيعة الشعر الفارسى (16) وكان الى شاعريته حسن الصوت يعزف على البربط فاعانه ذلك على ان تكون اوزانه جميلة وغنائيته نفاذة ٠

بهذه النزعة التجسيمية فى التصوير استطاع الرودكى ان يشغل اخيلة شعراء فارس وان يملا عليهم دروبهم ولحظاتهم ، ونحن اذا امعنا فى ايراد نماذج الشاعر فانما نهدف الى الكشف عن طبيعة الغنائية الفارسية ووضع القارىء فى هذا الجو الغنائى المنطلق الذى اشاعه الرودكى فتاصل فى الشعر الفارسى على اختلاف عصوره ، واكثر من هذا فان التصوير عند الشاعر ظل معينا لكبار شعراء فارس ينهلون منه ويلونون به اخيلتهم ورؤاهم ، وهذا ما نلمسه حين نقرأ رباعيات الخيام وغزليات حافظ الشيرازى وشاهنامة الفردوسى وقصص نظامى الكنجوى وعبد الرحمان جامى وسواها ، فمبتكر اشكال الشعر الفارسى وموضوعاته هو الذى اصل هذا الروح الغنائى فى الشعر الفارسى فاستحق لذلك ان يلقب من طرف مؤرخى الادب الفارسى بـ « ابى الشعر الفارسى » الاسلامى ٠

ع٠ ش٠

(16) راجع حامد عبد القادر : القطوف واللباب ط مكتبة نهضة مصر 1951 ص 140 ــ 146 وقارن مقال جلال الدين همائى فى مجلة دانشكده أدبيات شماره مخصوص رودكى) ص 40 ــ 42

مختارات من الشعر الفارسي
في الغزل ووصف الخمر

تعريب : علي الشابي

إن أهم ما يتميز به الشعر الفارسي الاسلامي منذ نشاته في القرن الثالث الهجري حتى يومنا هذا ، الغنائية الرقيقة المعنة ، وقد بث فيها الشعراء اشواقهم اللاهثة ولوعتهم المبرحة وحنينهم الذي لا ينتهي ، وصاغوها في اخيلة هائمة تاسر القلب وتفتن العين ، ولونوها بأصباغ وشكول توافرت فيها طرائف الحياة ومتعها على نسق فجئي يصدم القارئ لاول مرة لكنه يعرج به من بعد ذلك الى آفاق من الحلم والتصور والمتاع ، يأتلف في الشعر الغنائي الفارسي الطير واللؤلؤ والزنبق وكل ما تموج به « الحدائق » والقصور في « أرض البلابل » فتتلاطم الاخيلة وتزخر ، وتتألق الصور وتتبرج ، ويتجلى هذا خاصة في الغزل ووصف الخمر ، لذلك آثرت أن اعرب هذه النماذج التي صادفتني هذه الايام وأنا بصدد مطالعة الشعر الفارسي في عهد الدولة السامانية (261 هـ ــ 874 م ــ 389 هـ ــ 999 م) خاصة لاهيئي للقارئ رحلة ممتعة الى مجالس ايران المفعمة حبا وخمرا وصورا بارعة .

في الغـزل :

« لابي شكور البلخي (تـ 340 هـ : 951 م) من شعراء الدولة السامانية

نظرت من بعيد الى وجهك فجرحت وجنتك المفعمة حسنا وملاحة
ومن جراء نظرتك العليلة جرح قلبي وهذا حكم القضاء اذ الجروح بالجروح

وترجمها ابو الفتح البستي شعرا بشيء من التصرف :

رميتك عن حكم القضاء بنظرة — ومالي من حكم القصاص مناص
فلما جرحت الخد منكم بمقلتي — جرحت فؤادي والجروح قصاص

ومن المبالغات الطريفة لابي شكور :

لقد سرقت من طرتيك شعرة حين كنت تمشط بالمشط ايها المعبود

ثم اخذت أجرها بعناء كما تجر النملة حبة القمح الى مسكنهـا
ولما دخلت بها الدار قال أبى : مـن يكـون « منصـور » منكمـا ؟

وترجمها بديع الزمان الهمذاني شعرا بشيء من التصرف :

سرقت مـن طرتـه شعـرة حيـن غدا يمشطها بالمشـاط
ثـم تدلجـت بهـا مثقـلا تدلـج النمـل بحـب الحنـاط
قـال أبى مـن ولـدى منكمـا ؟ كلاكمـا يدخـل سـم الخيـاط

ولابى منصور الدقيقي (تـ 370 هـ : 980 م) من شعراء الدولة السامانية :

ليت الليل لم يوجد فى هذا العالم حتى لا اهجر تلك الشفة ولا تهجرنى
ولو لم يكن لها تلك الحلقات السوداء الملتوية ما وقعت لسعات العقرب على روحى

ولو لم يكن ذلك الكوكب المشرق من تحت شفتيها ما وجد كوكب يؤنسنى حتى الصباح

ولو لم يكن جسمها مركبا من جمال ما كانت روحى مكونة من عشقها
ولو كتب على أن أحيا بدون حبيبة فلا كانت هذه الحياة يا رب :

ولابى شعيب الهروى من شعراء الدولة السامانية فى فتاة نصرانية :

على الرغم من أن هذا الحبيب مسيحى الدين مصيره الى جهنـم فانـه فردوسى الوجه والقد

عيناه عينا غزال ، وخصل شعره كالحلقـات السوداء وخـده كالزنبـق
وشفتاه كمداد من الفضة سالت من قلم نقاش صينى فسقطت على الورد
ولو وزع حسنه على الزنوج لحسدهم عليه الترك دون شك

وأنف ذلك الحبيب كقبة من الحرير انعقدت فوق قمة من الحرير

وهذا الحبيب من أسفل كنز محجوب ومن أعلى جنة الفردوس وفيما بين هذين الطرفين مسلة فضية

ولابى عبد الله محمد بن صالح الولوالجى من شعراء الدولة السامانية :

تتدلى خصل شعره المتجعدة على جبهته الفضية حتى ليخيـل اليـك أن جيوش الزنوج تغير على بغداد

وتلك الخصل السوداء تمتد على عارضيه حتى ليخيل اليك ان شخصا ينفخ النار بجناح غراب

وللمعزى (ت· حوالى 518 هـ / 1124 م) من شعراء الدولة السلجوقية :

يا من وجنتاك مثل الثريا ويامن شفتاك مثل المرجان ان ثرياك بلاء للقلب ومرجانك غذاء للروح ان ظهرى فى سبيل الحصول على ثرياك قد انحنى مثل قبة الفلك وان عينى بسبب ما اصابها من هم البحث عن مرجانك قد فاضت بالدموع مثل البحر ·

يخيل الى أن شعرك الخفيف النابت على العذار والذقن دخان تتخلله اوراق الورد وربما يكون شعرك الاسود المجعد سحابا اختفت فيه الشمس انه دخان قد أوقد النار فى جسمى وسحاب قد أجرى الدمع الهتون من عينى

ان لك وجها كورق الزنبق فى رقته وحمرته وان لك اسنانا كحبات اللؤلؤ فى اشراقها وصفائها

ما سمعت قط بوجود لؤلؤ فى مرجان حشوه العسل وما سمعت قط بوجود زنبق فى وسط سنبل (1) امتزج به المسك

فى وصف الخمر

لابى شكور البلخى

ايها الساقى اعطنى من تلك الخمر فان غمى يبارحنى بسببها
انها اذ تصب من الزجاجة مثل الهلال وحين تستقر فى الكاس كبدر التمام

وله

هات من تلك التى كانت مثل العين فى اول الامر
ثم اعتصر منها المعتصر بالقوة روحا مشرقة
من تلك التى لو تقاطرت منها قطرة على الارض ،
لقال الاعمى : هى عينى ، ولقال الميت : هى روحى ·

لابى منصور الدقيقى :

اختر لى من تلك الخمر المرة الطعم التى تجعل قوتها العقل الغبى ذكيا

---

(1) السنبل : زهرة طيبة الرائحة ، ويقصد الشاعر هنا بالسنبل الذى امتزج به المسك ، الشعر المجعد الاسود ذا الرائحة المسكية

والتى من ضوء طلعتها تخضب الآفاق لونا
كما يخضب دم الطير صدر النسر

ولـه ايضـا :

اسقـنى من ذلك المزيج الذى جسمه من نور
ولكن له عقلا وروحا من نار
أو من ذلك الكوكب الذى يغرب فى الفم
ومشرقـه دائما على سطح الخـد ٠

وللكسائى المروزى (ت٠حوالى 393 هـ/1002 م) من شعراء الدولة السامانية :

افتح عينيك وامعن فى النظر الى الشنبليد (1)
تجده مضيئا مثل الجواهر فى وسط النبات الاخضر
كالعاشق الذى بسبب ماعرا وجهه من خجل
قد سحب الى وجهه غطاء من الديباج الاخضر
ما كان أجمل الخمر حين سقطت عليها أشعة الشمس
وبخاصة حينما ظهر عكس الاشعة داخل النبيذ
وترى الكاس الزرقاء والخمر الحمراء والاشعة الصهباء
فيخيل اليك أنك ترى البنفسج وشقائق النعمان وزهور الشنبليد
وتلك الخمر المشرقة حينما تتساقط قطرات من القنينة الى الكاس
يخيل اليك أن عقيقا أخضر قد تساقط الى لؤلؤ ابيض
وتلك الكاس الصافية اللون التى حينما تضعها فى كفك
لا تميز الكف من القدح ولا القدح من الخمر ٠

---

(1) الشنبليد : نوع من القرنفل

ابو الريحان البيروني
والانتروبولوجيا الاجتماعية

بقلم : محمد الانقر

درج المهتمون بالدراسات الميدانية للمجتمعات البشرية من حيث بناؤهـــا الاجتماعي وصلته بالبيئة الطبيعية ، ومن حيث وظائفها الاجتماعية ، اى النظم المختلفة السائدة فى المجتمع ، واصولها وتطورها على تسمية هذا النوع مــن الدراسات بالأنتروبولوجيا الاجتماعية او الثقافية او الحضارية (1) مقابـــل الانتروبولوجيا الطبيعية ٠

وتشمل الانتروبولوجيا الاجتماعية فروع البحث الاجتمـاعي المعروفـــة بالانتوغرافيا ، والانتولوجيا (2) وقد توصلت هذه العلوم الى تحديد مجالاتهـا ومناهج وضعبة تتبعها عند البحث ، ووضعت شروطا للباحثين تتعلق بشخصياتهم وعقليتهم وثقافتهم (3) ٠

وقد تطورت الانتروبولوجيا الاجتماعية وبلغت مرحلتها العلمية فى النصف

---

(1) إبراهيم أحمد رزقانة : الانتروبولوجيا ، ص 129 ـ 145 ـ ، أحمد الخشاب دراسات أنتروبولوجية ، ص 12 ، و
M.J. Herskovits : Les bases de l'Anthropologie culturelle ; PP. 327 - 331

(2) يوجد خلاف فى تحديد ميادين هذه العلوم الانتروبولوجيا بين المتخصصين فيها ، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى المراجع التالية : ابراهيم احمد رزقـانة : الانتروبولوجيـا ـ أحمـد الخشـاب ، دراسـات انتروبولوجية كـ إيفاز٠ بريتشارد : الانتروبولوجيا الاجتماعية،ترجمة أحمد أبو زيد٠ و
La Grande Encyclopédie Française, Termes: Ethnographie et Ethnologie: P. Rivet ; Ethnologie dans la science française, PP. 5-12, T.II ; P. Lester : L'Antropologie, PP. 13-19 ; Malinowskt : Une théorie scientifique de la culture, PP. 9-35.

(3) فيما يتعلق بشروط الدارس الانتروبولوجى ، أنظر : إفانز بريتشارد ص 117 ـ 123

الثانى من القرن التاسع عشر على أيدى اصحاب الفكر الاجتماعى فى أوروبا وأمريكا وظهرت لها عدة مدارس لتفسير الظواهر الاجتماعية أهمها :

1) المدرسة التطورية : Evolutionisme وهى ترجع بالظواهر إلى أصولها الاولى ، وتتبع مراحل تطورها الاجتماعى قياسا لها على التطور البيولوجى للافراد والكائنات الحية عامة ، وقد أفادت هذه المدرسة كثيرا من نظرية «دارون» فى أصل الانواع الحية وتطورها (1) .

2) المدرسة الانتشارية Diffusionisme ، وهى تفسر التشابه الثقافى فى المجتمعات على أساس أصل النشاة فى مجتمع واحد معين ، ثم انتقلت العناصر الثقافية الى بقية المجتمعات عن طريق الاعارة والاتصال والتمازج ، وان لم يثبت ذلك تاريخيا فعن طريق التشابه البيئى (2) .

3) المدرسة الوظيفية Fonctionalisme ، وهى تقصر أهتمامها على كشف الوظائف التى تقوم بها الظواهر الاجتماعية ، وعلاقتها ببعضها أثناء تأديتها لوظائفها داخل الانساق الطبيعية التى تنتمى اليها بقطع النظر عن تطوراتهاالتى لا تتصل مباشرة بوظائفها (3) .

والناظر فى تاريخ الانثروبولوجيا يجد أن أصحابها يرجعون بأصولها الى علماء الغرب فيما خلفوه من كتب تاريخية ورحلات وقصص ، ابتداءمنهيرودوت Hérodote وتاسيت Tacite ، ماركوبولوس Marco-Polo وغيرهم من المفكرين فى العصور الحديثة والمعاصرة ، متسلسلين فى شجرة نسب لاسرة الفكر الاروبى دون اعارة أهمية لما ساهم به غيرهم من الباحثين المنتمين لثقافات أخرى فى هذا المجال .

فى حين أن الحضارة الاسلامية غنية بالابحاث القيمة فى العلوم الانسانيةمثل ما فى غيرها من فروع المعرفة . فكتب الرحالة والجغرافيين والمؤرخين تقدم معطيات أنتربولوجية هامة تتعلق بالحياة الاجتماعية للشعوب التى احتكت بالاسلام وجاورت مناطقه .

والدارس لما خلفه العالم العظيم أبو الريحان البيرونى من تراث علمى يجد

---

(1) رزقانة : ص 139 – 141 ، أحمد الخشاب ص 147 – 150 – إيريتشارد ، ص 67 – 68 .

(2) أحمد الخشاب ص 158 – 162 ، و Malinowski PP. 21 : 20 .

(3) أحمد الخشاب ص 163 – 166 ، وايرتشارد ص 80 – 81 و Malinowski PP.60 – 66

فى كتابه عن الهند عملا أنتروبولوجيا اجتماعيا لا يقل أهمية عن الابحاث المعاصرة فى هذا الميدان ·

رحل أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى (1) الى الهند مع الفاتح السلطان محمود الغزنوى فى غزواته لها (2) ، وأقام فيها مدة اختلف فى تحديدها ، فقيل انها كانت أربعين سنة (3) وقيل انها دون ذلك (4) وسواء أكانت اربعين سنة أم أقل فلا شك أن الرحلة كانت طويلة تقدر بعشرات السنين قضاها صاحبها فى بحوث علمية ، وفى دراسة الحضارة الهندية من جوانبها المختلفة ، وثمرة هذه الدراسات ضمنها فى كتاب عرف بعناوين مختلفة « طريق الهند » ، « مقولات الهند » ، « تاريخ الهند » « كتاب الهند » (5) ولكن أسمه الكامل والصحيح هو : « كتاب فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » (6) ·

---

(1) ولد البيرونى فى 362 هـ 973 م بخوارزم التى ينتسب اليها وخوارزم من بلاد ماوراء النهر فى الشرق الاسلامى بوسط آسيا (خيوى حاليا) « وأهل خوارزم كانوا غصنا من دوحة الفرس ونبعة من سرحتهم » على حد تعبير البيرونى ـ الآثار الباقية ص 47 ـ توفى أبو الريحان البيرونى حوالى 1050 م ، وعن ترجمة حياته يمكن الرجوع الى « السيوطى » بغية الوعاة : ص : ص 20 ـ 21 ، ياقوت ـ معجم الادباء ص 180 ـ 190 ج17ـ الشهرزورى « نزهة الارواح » : ص 208 ـ 209 ـ البيهقى تتمة صوان الحكمة » ـ ص 62 ـ 64 ، سخاو فى مقدمة كتاب البيرونى فى تحقيق ما للهند من مقولة ··· وفى مقدمة الآثار الباقية ، جهار مقالة : للنظامى العروضى السمرقندى

(2) يعتبر أعظم سلاطين الدولة الغزنوية وبانى مجدها ويعد فاتح الهند الحقيقى الذى ضمها الى أرض الاسلام ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سبكتكين سنة 997 م وظل ماسكا زمامه بقوة ومهارة الى وفاته سنة 1031 م وقد غزا الهند 17 مرة فى مدى 27 عاما (أحمد محمود الساداتى · تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ص 86 ـ 87 ، وعلى الشابى : الادب الفارسى فى العصر الغزنوى ص 29 ـ 37)

(3) البيهقى ص 62 ـ 64

(4) سخاو : مقدمة التحقيق ، وثقافة الهند سبتمبر 1953

(5) سخاو : مقدمة التحقيق · والموسوعة الاسلامية ·

(6) ثقافة الهند سبتمبر 1953 ـ أحمد أمين أغسطس 1956 ، قدرى حافظ طوقان : الخالدون العرب · سخاو مقدمة التحقيق ·

وهذا الكتاب من أهم المصادر التى اعتمد عليها المهتمون بالدراسات الهندية فى الشرق والغرب • فقد أخذ باعجاب العلماء ، وظل معينا خالدا يستقى منه كل من ينشد الهند،وتزداد أهمية هذا الكتاب خصوصا اذا عرفنا أن الهند ليس لها مؤرخون من أبنائها• فالهنود لم يكتبوا الا قليلا•وكان العلم عندهم موهبة مقصورة على « البرهمن » وهؤلاء يعارضون كل طريقة لنشر المعرفة بين غيرهم ، ولذلك هم يتجنبون الكتابة التى من شأنها أن تنقلها لكل واحد ، لان الكتب يمكن لها أن تكون فى متناول الجميع ، ثم انهم لم يكن لهم آهتمام موضوعى بالماضى رغم اخلاصهم له ، فلم تكن الحقيقة لذاتها هى التى يطلبونها ، وانما مطلبهم هو المجد والسمو ، وذلك تحفظه لهم القصص والاساطير والنصوص القديمة ، وان أمكن أن يستخرج منها بعناية كبيرة واحتياط شديد ، نوع من الادب الهندى والمعطيات التاريخية القليلة ، فلا يصح أن تعد تاريخا للهند • فتاريخ الهند نجده عند شعوب قديمة فى حدود علاقاتها بها مثل الفرس واليونان والعرب (1) •

فكتاب البيرونى يعتبر وثيقة تاريخية لحضارة الهند ويعد بالنسبة لها ككتاب هيرودوت فى تاريخ اليونان وحضارة بلاد الشرق الاوسط القديم ، وكتاب تاسيت فى تاريخ حضارة القبائل الجرمانية مع ما أمتاز به البيرونى عليهما من عقلية علمية واسعة وتفوق فى المنهج والملاحظة والدقة(2)•وهو أول كتاب ظهر باللغة العربية فى مثل تلك الدراسات الهندية ، وهو أفضل كتاب على الاطلاق وجد قبل حركات المستهندين الحديثة ، يقدم وصفا شاملا للهند البرهمانية الاصيلة المغلقة فى بداية دخولها فى تطور جديد ، هو الفتح الاسلامى استمرت فيه الى أن داهمها الغزو الأروبى والانقليزى بصفة خاصة (3) •

والكتاب مطبوع فى مجلد واحد ، يحتوى على ثمانى عشرة وثلاثمائة صفحة من القطع الكبير(4) و 548 صفحة من القطع المتوسط (5)•وهو كما ألفه صاحبه يبتدىء بعد البسملة بذكر اسم مؤلفه وعنوان موضوعه على هذه الصورة : كتاب أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى

(1) P. Masson Oursel : l'Inde Antique et la Civilisation Indienne, P. VI. C. Bouglé : Essais sur le Régime des Castes, P. VII ; Jacques Dupuis ; Histoire de l'Inde, PP. 8-9

(2) سخاو : تحقيق ما للهند ، المقدمة

(3) نفس المرجع •

(4) طبعة لندن سنة 1887 ـ تحقيق سخاو •

(5) طبعة الهند سنة 1958 تحقيق وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية •

العقل أو مرذولة،وشرع فى حديثه بذكر مقدمة بين فيها أهمية الملاحظة وتحديها ثم مقارنة بين العيان والرواية ، ويعترف بأن الخبر لولا ما يعتريه من الآفات لكانت فضيلته تبين على العيان والنظر لقصورهما على الوجود الذى لا يتعدى آنات الزمان (1) ، بخلاف الخبر فانه يتناول الماضى والحاضر والمستقبل ويعم الموجود والمعدوم معا (2) . ويعتبر الكتابة نوعا من أنواع الخبر أشرف من الرواية ، لانها تسجيل يكون أدوم للحفظ وأقل عرضة للآفات والتحريف بالنقص والزيادة وهى آفات تلحق الخبر .

ويحتوى الكتاب على ثمانين بابا تتناول مباحث عديدة ومتنوعة عن الهند لا يسع المقام هنا تحليل محتواها ، وهى بصفة عامة تدرس النوع الانسانى فى الهند من جميع جوانبه من حيث بيئته الطبيعية وبناؤه الاجتماعى ودينه ولغته وسننه وأساطيره وفلسفته وعلومه المختلفة وغير ذلك مما يسود المجتمع الهندى من طرق الاعمال والتفكير والعلاقات الروحية والسماوية والتنجيمية ، وجملة هذا المضمون هو الذى حدا بمحقق الكتاب الدكتور ادوارد سخاو أن يضع له عنوانا كالآتى :

هند البيرونى

تقرير عن الدين والفلسفة والادب والاخبار ، وعلم الفلك والعادات والقانون والتنجيم فى الهند حوالى 1030 م

Alberuni's India

An account of the Religion, philosophy, Literature, Chronology, Astronomy, Customs, Lous and Astrology of India, About A.D. 1030.

والواقع أن موضوع كتاب البيرونى هو مقولات المجتمع الهندى ، بحمل مفهوم المقولات على معنى المصطلح كاطيغورياس Catégories الذى يستعمله دركايم العالم الاجتماعى الفرنسى فى تعبيره Catégories sociales عند تفسيره للمقولات العقلية catégories mentales على أساس أنها مقولات آجتماعية (3) وهو ما يقصده من العنوان الذى وضعه لكتابه فى تحقيق ما للهند من **مقولة** مقبولة فى العقل أو مرذولة .

---

(1) تحقيق ما للهند ، ص 1 .

(2) تحقيق ما للهند ، ص 1 .

(3) Durkheim : Les formes élémentaires de la vie religieuse. PP. 12-13

وفى هذا الموضوع يمكن الرجوع الى بحث لى بعنوان : « نظرية المعرفة ومدى اسهام أبى الريحان البيرونى فى تحديد اطارها الاجتماعى » ضمن كتاب تحت الطبع تصدره الدار التونسية للنشر .

هذا من حيث الموضوع ، أما من حيث المنهج فيبدو مما قرره البيروني في مقدمة الكتاب وفي الباب الأول منه أنه كان متجردا ، اعتمد على ملاحظة الظواهر على ما هي عليه ويسميها العيان ، ويعرفه تعريفا دقيقا فيقول : « العيان هو ادراك عين الناظر عين المنظور اليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله (1) .

وهو لايثق في الروايات ، ولو كان ما روى يدخل في حد الامكان ، ويتحقق من الخبر الذي يشك في صحته بكيفية لا يمكن أن توصف الا بكونها الطريقة التي تستعمل في عهدنا للكشف عن أخطاء التحيز التي قد تحدث في اجابات الافراد عن أسئلة الكشوف الاحصائية واستمارات الآستعلام questionnaires لجمع البيانات ، فيقول في مثل هذا الموقف : واحتطت في مسائله واحد واحد وتكرير السؤال وتغيير الترتيب (2) فاذا لم يقع خلاف في الخبر قبله ، والا حمله على عدم الصحة ولم يعتمده .

على أنه يعتمد الرواية الصحيحة ممن يثق فيهم من غير العامة ، وعلى النصوص المأخوذة من المراجع المعتبرة مصادر لدين الهنود وحضارتهم مثل « سانك » و « باتنجل » و « بيذ » و « البرانات » و « بهارث » و « كور » وغيرها (3) . كذلك استخدم البيروني المقارنة بين بعض الظواهر موضوع الدراسة في الهند وما يشابهها عند اليونانيين والفرس والعرب ، وما عرفه عن اليهود والصوفية والنصارى ، كما استخدم المقابلة والسؤال واستعان بالمخبرين .

ولم يغفل البيروني التنبيه الى الصعوبات التي تعترض الباحث في المجال الاجتماعي في أمة تختلف عن أمته مثل الهند ، وكيفية التغلب عليها ، وأهم هذه الصعوبات هي : اختلاف اللغة ، وصعوبة الهندية بالنسبة للعربية من عدة وجوه ، كالبدء بالساكن والنطق بساكنين متتاليين ، وكثرة الاسماء لمسمى واحد ، واطلاق الاسم الواحد على عدة مسميات وغير ذلك مما يتعلق بالصرف والنحو والاشتقاق وعدم تطابق حروفها الحروف العربية أو الفارسية بالاضافة الى صعوبة مخارجها بالنسبة للمتعود على اللسان العربي الى آخره ... ومنها اختلاف الديانة ، انهم يباينوننا بالديانة مباينة كلية لا يقع مناشيء من الاقرار

(1) تحقيق ما للهند ص 2 .
(2) تحقيق ما للهند ص 452 .
(3) فيما يتعلق بأسماء الكتب الهندية التي يعرفها البيروني ، انظر باب : في ذكر بيذ والبرانات وكتبهم الملية من كتاب تحقيق ما للهند من مقولة من ص 96 الى 104 والباب الذي يليه من ص 104 الى ص 123 .

بما عندهم ولا منهم بشيء مما عندنا ، الامر الذى جعلهم ينفرون من كل غريب عنهم ، ويتجنبون القرب منه والتعامل معه لنجاسته وقذارته فى رأيهم (I) ومنها اختلاف الرسوم والعادات وانغلاقهم وانطواؤهم على انفسهم وعجبهم بذواتهم (2) ٠

وقد استطاع البيرونى التغلب على مثل تلك الصعوبات بالتواضع لهم ، والصبر على تحمل كبريائهم وبذله الجهد الكبير فى تعلم لغاتهم الى درجة الالمام بمكنوناتها ، وفهم دقائقها حتى اذا ما تمكن منها صار يدخل مع علمائهم فى مباحثات ، ويوقفهم على أشياء لم يكن لهم بها سابق علم (3) ٠

وفضلا عن تلك الخبرة ، كان البيرونى يتحلى بالصدق وتنزيه النفس عن شوائب التعصب الدينى والتحيز العنصرى والاجتماعى ٠ فكان متجردا يسجل مايراه ويسمعه من الروايات المتعلقة بظاهرة بحثه دون أن يضفى عليه شيئا من التأويل والانتقاد كما قال : « وأنا فى أكثر ما ساورده حاك غير منتقد الا عن ضرورة ظاهرة » (4) ، وذلك باشارته فى بعض الاحيان الى ما يراه الحقيقة طبقا للمقاييس الحسية والعقلية وطبائع الاشياء أو القوانين الطبيعية، وحتى اذا ما لجأ مرات عديدة الى المقارنة بين ما عند الهنود وغيرهم من المجتمعات فانه لا يقصد من ذلك سوى الآستشهاد « من كلام بعضهم على بعض بسبب الاتفاق وتقارب الامرين لا التصحيح (5) ٠

فالبيرونى فى دراسته للمجتمع الهندى وحضارته من خلال كتابه « فى تحقيق ما للهند ٠٠٠ كان انتروبولوجيا بأتم معنى الكلمة ٠ فهو كما عرفتنا ترجمة حياته ، عالم جليل ملم الماما جيدا بفروع المعرفة التى سادت عصره ، يتقن لغات عديدة مثل اليونانية والفارسية والعبرية،والصغدية،والسنكريتية والسريانية والعربية،ولغته المحلية الخوارزمية،(6)ولم يقصد الهند كأى رحالة من المعروفين فى القرون الوسطى أو قبلها مثل ما جستينس اليونانى Megasthene الذى

(I) تحقيق ما للهند ص I4 ـ I5
(2) تحقيق ما للهند ص I5
(3) تحقيق ما للهند ص I6 ـ I7
(4) تحقيق ما للهند ص I9
(5) تحقيق ما للهند ص I8
(6) السيد حسن البرين مجلة ثقافة الهند I953 ص 58 ـ 59 أحمد محمود الساداتى مجلة تراث الانسانية المجلد الثالث فبراير I965 ص I28 الاثار الباقية جداول وعبارات باللغات المختلفة ـ تحقيق ما للهند ص I06 ٠

ذهب اليها فى مهمة ديبلوماسية ، أو الحجاج الصينيين الذين دخلوها لسبب دينى ، أو للضرب فى الارض كما فعل ابن بطوطة وغيره ، وانما قصد الهند للتثبت من حالها ، وقد سمع مما كان يروى فى خصوصها من عجائب يحتار فى أمرها العقل الانسانى ، أى ذهب ليعاين أحوال الهند ، أو ليقوم بما يطلق عليه فى وقتنا الحاضر «الدراسة الحقلية أو الميدانية(1)» . فأقام بين أهلها عشرات من السنين وتعلم لغاتهم وتفاعل بها واطلع على كتبهم وتعرف على دينهم وعلى تفاصيل حياتهم ووقف على اسرارهم وبالجملة تمثل حضارتهم ، بالاضافة الى أنه كان على معرفة جيدة بصفة مباشرة بغير المجتمع الهندى مثل المجتمع الفارسى والتركى والعربى ، وبصفة غير مباشرة ، أى عن طريق الكتب ، بالحضارات القديمة مثل اليونانية والرومانية وحضارات الشرق الاوسط القديم ، وكل ذلك يعتبر شروطا أساسية فى الدراسات الانتروبولوجية (2) .

والبيرونى فى دراسته يجمع بين عدة فروع أنتروبولوجية . فهو لغوى ، عقد مقارنة بين اللغة الهندية والعربية ، ولاحظ أن الهندية واسعة مثل العربية يسمى الشيء الواحد بعدة أسماء مقتضبة لا تفهم الا بالرجوع الى سياق الكلام، ويقسم اللغة الهندية الى كلام دارج مبتذل يستخدمه السوقة والى رصين فصيح يتعلق بالتصاريف والاشتقاق ودقائق النحو والبلاغة ، لا يرجع اليه الا الفضلاء المهرة ، أو من يسمون الآن بالمتخصصين ، ثم يذكر أنها تتركب من حروف مختلفة مخارجها عن مخارج العربية والفارسية ، كما تختلف عنها ايضا من حيث الشكل والكتابة . فالهنود يبتدئون الكتابة من اليسار الى اليمين على عكس الخط العربى ، ويلاحظ أنه يجتمع فى اللغة الهندية كما فى سائر لغات العجم حرفان ساكنان أو ثلاثة ، مما يجعل نطقها عسيرا على المتعود على اللسان العربى (3) . ثم يعقد ثلاثة فصول فى ذكر كتبهم الملية وكتب علومهم ونحوهم وشعرهم ونثرهم وخطوطهم . فيجد أن الهنود يميلون الى النظم والشعر وينفرون من المنثور ، وأن اكثر كتبهم تتكون من « شلوكات » أى مقطوعات منظومة ، وقد تضايق البيرونى من ذلك عندما أراد أن يملى عليهم ترجمة بعض الكتب اليونانية فقال : وأكثر كتبهم شلوكات أنا منها فى بلايا فيما أمثله للهند من ترجمة كتاب « أقليدس » والمجسطى » وأمليه فى صنعة « الاسطرلاب » عليهم ، حرصا منى على نشر العلم ، وأن يقع اليهم ما ليس لهم وعندهم ، فيشتغلون بعملها

(1) تحقيق ما للهند ص 3 — 4
(2) فيما يتعلق بشروط الدارس الانتروبولوجى انظر ايفاز بريتشارد ص 117 — 123
(3) تحقيق ما للهند ص 13 — 14

شلوكات لا يفهم منها المعنى لان النظم محوج الى تكلف (١) ... » ثم يتعرض الى أوزانهم وكيفية صياغتهم الشعرية وأجزائها المركبة بطرق حسابية وغير ذلك من الأساليب الفنية ، مما يدل على تمكن البيرونى من تفاصيل اللغة الهندية وفقهها (2) .

وهو عالم آثار ، تعرض لبعض معابدهم وأصنامهم ونصبهم (3) وكتبهم فى اللغة وفى سائر العلوم (4) كما تحدث بالتفصيل عن خطوطهم ، فبين المواد المتنوعة للكتابة وحروف الهجاء الهندسية ، والخطوط المشهورة والمحلية وتطورها والارقام الحسابية واستعمالها فى الحساب وبعض ألعابهم مثل النرد والشطرنج (5) وتحدث ، كذلك عن الوسائل التى يقدرون بها الاشياء ، فذكر نقودهم وأوزانهم ومكاييلهم ومقاييسهم وكيفية استعمالها ، (6) وقدم وصفا دقيقا للاحواض التى يتطهرون فيها فى مواسم الحج وكيفية بنائها والمواد التى بنيت (7) بها وغير ذلك .

وهو ايضا يجمع فى آن واحد بين الانتوغرافيا،والانتولوجيا،والانتروبولوجيا الاجتماعية فقد وصف المجتمع الهندى وبيئته الطبيعية وبناءه السكنى ونظمه الدينية والقضائية والاسرية وأنماطه الثقافية ، وتصوراته لأجناس الخلائق ، وخلق الكون ، وغير ذلك من السنن الاجتماعية والمعتقدات فى الله والموجودات العقلية والحسية والروحية والتناسخ ، وما يتعلق بالآخرة من جنة ونار ، والوسائل التى يستخدمها الهنود فى شؤونهم اليومية من أشياء وحيوانات ، ونباتات وعلل كثيرا من الظواهر السائدة فى الهند وقارن بينها وبين ما يشابهها عند اليونان والفرس ، والعرب ، وتتبع تطوراتها وأرجعها الى أصولها ، وحاول استخلاص بعض التعميمات أحيانا مثل تفسير اختلاف اعتقاد الخاص والعام عند كل أمة بأن « طباع الخاصة ينازع المعقول ويقصد التحقيق فى الاصول ، وطباع العامة يتوقف عند المحسوس ويقتنع بالفروع ولا يروم التدقيق » ، ممثلا لذلك بما بين خاصة الهند والمسلمين وعوامهم فى اعتقاد الله من تشابه (8) ،

(١) تحقيق ما للهند ص 106
(2) تحقيق ما للهند ص 96 ــ 144
(3) تحقيق ما للهند ص 84 ــ 96
(4) تحقيق ما للهند ص 123 ــ 139
(5) تحقيق ما للهند ص 96 ــ 123
(6) تحقيق ما للهند ص 123 ــ 131
(7) تحقيق ما للهند ص 463
(8) تحقيق ما للهند ص 20 ــ 24

ومثل تقريره أن المعرفة اليقينية لا تتم الا عن طريق مدركات حسية يؤلف بينها العقل ، وقد استنتج ذلك من مقارنة بين آراء الهنود واليونانيين فى المعرفة (1) ، وأن التفكير لا يخرج عن رموز النحلة ومواضعات الناموس لدى الامم (2) وارجاع النظام الطبقى الى السياسة ، ورسوخه الى التقادم والدين (3) . وآختلاف الامم الى الاختلاف فى الظروف الاجتماعية العامة كالدين واللغة والسياسة والرسوم والعادات وما الى ذلك (4) والامثلة عديدة موزعة فى كثير من فصول الكتاب . ولم يغفل البيرونى ربط الظواهر الاجتماعية ببعضها مرات متعددة كما فعل فى ظاهرة انغلاق المجتمع الهندى وعزلته عن الشعوب الاخرى، اذ ربطها بمباينته لها فى اللغة والرسوم والعادات والدين والسياسة ، وبما يعتقده الهنود فى سمو جنسهم عن بقية الاجناس الى درجة الاعجاب بانفسهم وانكار كل شىء موجود خارج حدود ارضهم ومعرفتهم (5) . كما ربط الوظائف الاجتماعية والصنائع والحرف والزواج والقضاء والعقوبات وضروبا من السلوك بالبناء الاجتماعى فى الهند ، وربط النظام الطبقى بالسياسة والدين والتقادم (6) .

وفى معالجته لظاهرة عبادة الأصنام مثلا يرى أن سببها يرجع الى قصور ادراك القوم للمقدسات المجردة مثل الله والملائكة والارواح . فهم يحاولون تجسيدها وتشخيصها فى نصب وتماثيل محسوسة تذكرهم بها وبعظمتها ، وبمرور الزمان عليها تنسى أسبابها ودواعيها ، وتصير رسما وسنة مستعملة ، ثم يوجبها أصحاب النواميس اذا اشتد انطباعها فى قلوب الناس ، وأصبحت تعبد وتتخذ واسطة تقربهم من العلة الاولى كما عند اليونان ، أو آلهة عند العرب وغيرهم . ثم يروى عدة حوادث أسطورية وقعت فى الهند واليونان والرومان تثبت ذلك ، ويقرر أن العرب نقلت الأصنام من الشام الى أرضهم ليتقربوا بها الى الله زلفى (7) .

ويلاحظ فى التقسيم الطبقى للمجتمع وتصنيف الناس الى فئات ومراتب

---

(1) تحقيق ما للهند ص 51 – 54 .
(2) تحقيق ما للهند ص 5 .
(3) تحقيق ما للهند ص 75 .
(4) تحقيق ما للهند ص 13 – 17 .
(5) تحقيق ما للهند ص 13 – 17 .
(6) تحقيق ما للهند ص 75 – 79 ، ص 452 – 459 ، ص 466 – 480 .
(7) تحقيق ما للهند ص 84 – 94 .

وظيفة ، هى حفظهم من التمازج والتهارج والاختلاط ، وتخصصهم فى الصنائع والحرف ، ويضرب مثلا لذلك بما هو فى الهند وفارس (1) ٠

وفى خصوص الزواج فان البيرونى يعتبره ظاهرة طبيعية ويسنـد له الى جانب الوظيفة البيولوجية التى هى حفظ النوع ، وظيفة أخلاقية هى المنع من التهارج المستقبح فى العقل ، وقطع أسباب تهييج الغضب الحيوانى الذى يدفع الى الفساد ٠ ويعزو الى اقتصار الرجل الواحد على امرأة واحدة وظيفة إنسانية هى عملية الاستعلاء على المستوى الحيوانى ، ثم تعرض الى تعدد أشكال الزواج فى الهند وتطورها ، فيذكر بعضا منهـا ثم يقول إنها فسخت ونسخت (2) ، ويربط بين الزواج والطبقات ، ويجد تشابها بين أشكاله عند الهنـود وعند اليهود والعرب فى الجاهلية ٠ وعن ظاهرة تحريم أكل لحم البقر ، ذكر أنهـا كانت مباحة ، ثم طرأ عليها المنع لاغـراض سيـاسية واقتصـادية ودينيـة ، ويقارن ذلك بما وقع من منع قتل البقر وذبحه من قبل الحجاج لما شكى اليـه خبر السواد بالعراق ٠

وهكذا فعل البيرونى بالنسبة لكل الظواهر الاجتمـاعية التى عالجهـا فى كتابه « فى تحقيق ما للهند » مبينا الاتجاهات المختلفة التى نجدها فى المدارس الانتروبولوجية الاجتماعية المعاصرة من تطور وانتشار وتفسير وظائفى ٠

ورغم ذلك فلا أدعى أن البيرونى ينتمى الى مدرسة معينة من تلك المدارس او لجميعها لانه لا يصح علميا ان يقال بان كاتبا او باحثـا ينتمى الى مـدرسة معينة الا اذا انتهى من دراسته بنظرية عامة تصلح لتفسير جميع الظـواهر الاجتماعية موضوع البحث فى كل المجتمعات الانسانية طبقا لاتجاه المدرسة ، وليس هذا هو الحال بالنسبة للبيرونى ولكن ما وصل اليه البيرونى هو تقديم اراء متفرقة أحاطت بعض الظواهر من جـوانب متعـددة وربط بعضها ببعض أحيانا وحلل التفاعل بينها دون وضعها الكامل فى أنساقها ونظمها على غرار ما يقع فى الدراسات الأنتروبولوجية المعاصرة ٠

ولكن لا يصح أيضا نعته بكونه مجرد رحالة قديم ، لـم يتجـاوز مـرحلة الوصف والرواية كما عرف عن غيره من الرحالة قبله وبعده ممن زاروا الهند أو مجتمعات أخرى ، لان البيرونى فى الواقع لم يقتصر على الـوصف وانمـا تجاوزه الى المقارنة بين الظواهر المتشابهة فى الهند وخارجها بصفة موضوعية

(1) تحقيق ما للهند ص 84 ــ 94 ٠
(2) تحقيق ما للهند ص 75 ــ 80 ٠

دون ان يضفي على اى منها احكاما تقديرية مع ملاحظات تعمقية لتتبع تطورها التاريخي والرجوع بها الى اصولها وتحليل وظائفها ومحاولات ذكية لربط بعض الظواهر ببعض والوصول الى استنتاجات مجردة ، إن لم تبلغ حد النظرية ، فهى دون شك تدل على نزوع حقيقى الى التعميم وايجاد قوانين ٠

أما من حيث المنهج فالبيرونى كان متقدما فيه الى حد كبير ، فموضوعيته واضحة وقد منك قدرة على النزاهة والتجرد والاعتدال من النادر أن تكون قد أتيحت لغيره من معاصريه فى الشرق ، ولم يكن تمسكه بدينه الاسلامى المنتصر مانعا له من الاندماج فى المجتمع الهندى اندماجا مكنه من اتقان لغاته والتغلغل فى أعماق حضاراته وأسراره إذ يمكن لقارىء كتابه أن يتصفح فصولا عديدة ولا يجد فيها أثرا يدل على دين كاتبها ولا الحضارة التى ينتمى اليها ، الأمر الذى جعل الدكتور ادوارد سخاو ، وهو رجل كان له فضل القدرة الفائقة على فهم البيرونى وادراك عظمته من خلال إنتاجه المتنوع ، فحقق له كتاب الآثار الباقية وكتابه فى تحقيق ما للهند ، وترجمهما الى الانجليزية ، يحمد القدر الذى عين أن يكون الدارس للهند فى تلك الظروف هو البيرونى العالم الكفء وأعظم عقلية عرفها التاريخ (1) ٠ وكان فضلا عن استعماله للوصف والملاحظة الأفقية ، يلجأ فى كثير من الأحيان الى استخدام الملاحظة التعمقية وتتبع تطور الظواهر ويعقد المقارنات مما يدفع دارسه الى الاعتراف له بأنه من واضعى أسس المنهج التاريخى المقارن (2) وانه يمكن بكل ارتياح وضعه فى حلقة التاريخ العلمى للأنتروبولوجيا الاجتماعية واعتبار كتابه فى تحقيق ما للهند من مقولة ٠٠٠ بحثا انتروبولوجيا بنائيا تجد فيه النظريات الأنتروبولوجية الاجتماعية المعاصرة معطيات وآراء هامة تعتمدها فى تفسير الظواهر الاجتماعية ، ويتعين على المهتمين بالدراسات الاجتماعية فى البلاد العربية والاسلامية ألا يهملوا هذا التراث الفكرى الخصب وأن يربطوا بين حلقات تطور التفكير الاجتماعى بفروعه المختلفة لدى علمائهم ، ابتداء من عصور النهضة العربية الاسلامية الاولى الى حاضرنا ، وعلينا أن نستمد مما خلفه

(1) سخاو : مقدمة تحقيق ما للهند ؛ الدوميلي : ص 188 ـ 192 أحمد أمين : مجلة الهلال ، أغسطس 1956 ، الاستاذ بزمى أنصارى : مجلة الوعى ، شوال 1372 ، قدرى حافظ طوقان : الخالدون العرب : ص 127 ـ 137 والعلوم عند العرب ، ص 164 ـ 169 ثقافة الهند سبتمبر 1953 عبد الحليم محمود : الفلسفة الهندية ، المقدمة ٠

(2) أحمد أمين : مجلة الهلال ، أغسطس 1956 ٠

أسلافنا مثل البيرونى وابن فضلان والفارابى ومسكويه والرازى وابن الأثير وابن خلدون والمقريزى وغيرهم أصولا لمدرسة عربية إسلامية فى علم الاجتماع وفروع متعددة للانثروبولوجيا • ففى آثارهم مادة فكرية غزيرة تساعدنا على فهم أصولنا الحضارية وتحديد الاتجاهات السليمة لتطور حاضر عالمنا الاسلامى •

المراجع العربية

- د• إبراهيم أحمد رزقانه : الأنتروبولوجيا ، القاهرة 1957 •
- د• أحمد الخشاب : دراسات أنتروبولوجية ، القاهرة 1959 •
- د• أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج 1 ، القاهرة 1957 •
- ألدوميلى : العلم عند العرب ترجمة د• عبد الحليم النجار ، و د• يوسف موسى ، القاهرة 1962 •
- البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزيغ 1878 •
- البيرونى : فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، لندن 1887 •
- البيرونى : فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، الهند 1958 •
- البيرونى : رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى ، باريس 1936•
- البيهقى : تتمة صوان الحكمة ، لاهور 1351 هـ•
- السيوطى : بغية الوعاة ، القاهرة 1366 هـ•
- ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ترجمة د• محمد الهادى أبو ريدة ، القاهرة 1958 •
- د• عبد الحليم محمود : الفلسفة الهندية ، القاهرة •
- قدرى حافظ طوقان : الخالدون العرب : دار الملايين ، بيروت •
- قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب سلسلة الألف كتاب ، القاهرة •
- قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى •
- د• على الشابى : الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1965 •

ـ النظامى العروضى السمرقندى : جهاز مقالة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، و د. الخشاب ، القاهرة 1949 .

المجــــلات

ـ مجلة الهلال أغسطس 1956 : شخصية لا تنسى ، أبو الريحان البيرونى ، بقلم د. أحمد أمين .
ـ مجلة الـوعى (الباكستـانية) كـراتشى ، يونيـة 1953 : أبو الريحـان البيرونى ، للأستاذ بزمى أنصارى .
ـ ثقافة الهند يونية 1952 وسبتمبـر 1953 : البيـرونى وأعماله العلمية . للأستاذ السيد حسن البرنى .
ـ تراث الانسانية : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، المجلد الثالث فبراير 1965 ، د. أحمد محمود الساداتى .

المراجع الفرنسية

Bronislaw Malinowski : Une théorie scientifique de la culture, Paris, 1968.
C. Bouglé : Essais sur le Régime des Castes, Ed. 3, Paris, 1935.
E. Durkheim : Les formes Elémentaires de la Ville Religieuse, Ed. 2, Paris, 1925.
Jacques Dupuis : Histoire de l'Inde et de la Civilisation Indienne Paris, 1963.
Marcel Mauss : Manuel d'Ethnographie, Paris, 1967.
M.J. Herskovits : Les Bases de l'Anthropologie Culturelle, Paris, 1952.
P. Lester : L'Anthropologie, dans la Science Française, Tome II.
P. Manson Ourel et autres : L'Inde Antique et la Civilisation Indienne, Paris, 1951.
P. Rivet : Ethnologie dans la Science Française, Tome II.
Encyclopédie de l'Islam
Encycloaedia Universalis
La Grande Encyclopédie Française.

المسرح الاسلامى فى إيران
التعازي

بقلم محمد عزيزة

لاسباب كثيرة سبق ان عددتها فى كتابى « المسرح والاسلام » (1) لم تعرف الحضارة الاسلامية النوع المسرحى .

الا ان الاستثناء الوحيد الذى عرفته هذه القاعدة قد تبلور فى وجود التعازى الشيعية التى اعطت الاسلام اعتبارا من القرن السابع الشكل الدرامى الوحيد الذى عرفه قبل حلول القرن التاسع عشر (2)

ففى الايام التى تسبق اول محرم ، فى الجوامع والتكيات ، فى الساحات العامة ، وفى بعض المنازل الخاصة ، ومن على المنابر تقف شخصيات دينية تدعى روزى كان ـ (التى سنتخذ فيما بعد شخصيات المقدمين) لتروى احداث بطولة الحسين بن على وتشيد بمناقبه .

---

(1) محمد عزيزة ، المسرح والاسلام ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، الجزائر العاصمة 1969 بالفرنسية و 243 : ن كتاب الهلال القاهرة افريل 1971

(2) نسخة من تذكرة رقم 1 صحيفة 42

هناك عدة دراسات هامة حول التعازى نذكر منها سودزكو: المسرح الفارسى باريس 1844 .

لـوت : الدراما الدينية فى فارس (التعزية) المجلة الجديدة 1903 .

ليتين : الدراما فى فارس . ليبزيج 1929 ، مونتيه : المسرح فى فارس . جنيف 1888 .

رونـو : التعازى الفارسية (الدراسات الجديدة للتاريخ الدينى) باريس 1884 .

ثالاسو : المسرح الفارسى المجلة المسرحية ، 1905 والعدد الخاص عن المسرح الفارسى من المجلة نفسها .

هؤلاء « الروزى كان » كانوا يسردون المديح ثم يضمنونه حوادث تفسيرية والنتيجة كانت مزيجا من الرثاء والغناء والرواية والمواعظ ٠

وسريعا ما ظهر الى جانب « الروزى كان » مساعد لقبوه بـ (بامامبر كان) اى (المغنى على قاعدة المنبر) ويبقى دائما الى جانب المنبر ويتحاور مع « الروزى كان » ثم ظهر (النوح ــ كان) وهم مجموعة من البكائين يتجاوبون مع سرد (الروزى ــ كان) أى اننا اصبحنا امام ازدواج يذكرنـا بتحـولات الجوقـة اليونانيـة ٠

ومنذ اول محرم وحتى ظهر يوم عاشوراء (اى خلال عشرة ايام) كانت تقام المسيرات الدينية العنيفة التى تجعل مدينة كربلاء فى حالة توتر دائم ويـرى « جوبينو » فى هذه الاحتفالات شيئا يشبه الطقوس الوثنية التى كانت تقـام لادونيس ، ويرى « ب ٠ ايردمان » فيها استمرارا للعبادة السامية «لادونيس ــ تمـوز » (1) ٠

والى جانب المدائح والندب المعتادين كانت هذه المسيرات تحتوى على رقصات (سيدزن ، زندرزن) ورجال يضربون أنفسهم بالسياط وأشخاص متنكريـن :

كامام يمتطى صهوة جواده والدم ينزف منه بغزارة وكذلك بالنسبـة لبـاقى المشتركيـــن ٠

واخيرا فى اليوم العاشر ٠٠ يمثل المشهد الملقب بالتعازى ٠٠

هذه الاحتفالات يمكننا ان نقارنها بالاعياد والمسيرات والاسرار التى مازالت تقام حتى يومنا هذا فى مدينة (اوبيرا مرجو) فى بافاريا ٠

اما مسرحيات التعازى هذه فقد كتبها مؤلفون مجهولون (2) ، ويتم تمثيلها فى الساحات العامة وفى الهواء الطلق او فى « التكية » (3) حيث يوضـع فى منتصفها صوان خشبى دائرى او مربع يدعى « سيكـو » ويستعمل كخشبة

(1) موريس ماجر وهنرى ليونية : الاعياد فى الشرق وفى العهود البعيدة ٠

(2) وحسب رأى شودزكو فان التعازى قد كتبت باشعار ذات ايقاع يـدعى بالعربية بالهزج « المسرح الفارسى »

(3) وحتى الآن يوجد فى طهران مسرح يحمل اسم تكى دولاتى «تكية الدولة»٠

مسرح ، وهذا الصوان مفتوح من كل جوانبه وليس فيه اى ديكور • اما الممثلون فيغيرون ملابسهم فى الواح جانبية تدعى « تاج ـ نوما » •

ويدوم العرض ساعات متوالية ، ومنذ الصباح الباكر يتجمع الناس حول « السيكو » •اما ادوار الرجال فيؤديها الرجال • والجمال والجياد الحقيقية كانت تمثل قافلة الحسين • هذه هى التفصيلات المادية للعرض قدمناها باختصار (1) •

لم يترك النبى أى نص مكتوب يتعلق بمن يخلفه ، لذلك انقسم المسلمون بعد موته الى فئتين : الشرعيون الذين يقولون ان الخلافة يجب ان تبقى فى عائلة النبىّ والذين يرون فى على « ابن عم محمد وصهره » خليفة الرسول بطبيعة الحال والدستوريون الذين يقولون بان الخلافة يجب ان تتم عن طريق الانتخاب •

وقد تم الفوز بادىء الامر للفئة الثانية ، وكان اول خليفة فى الاسلام (ابو بكر الصديق) الذى سلم الخلافة من بعده الى (عمر) • وعندما قتل عمر بيد رجل ايرانى يدعى (أبو لؤلؤة ـ فيروز) اختير (عثمان) للخلافة ، وقد رفضت شيعة على هذا الاختيار • ومنذ هذه اللحظة ولدت الفتنة الكبرى •

وقد اعقب ذلك فترة من العراك والخلافات الشديدة قتل فيها عثمان من قبل بعض الثائرين ، ووصلت الخلافة الى على •

ثم اتهم معاوية عليا بمقتل عثمان وقام بثورة ضده ، وقتل على بدوره فى احد مساجد الكوفة •• فاصبح الطريق مفتوحا منذ ذلك الحين امام معاوية الذى سمى نفسه (خليفة) • ثم اخذ البيعة لصالح ابنه يزيد ، فاصبحت الخلافة وراثية كما كان يريدها (الشرعيون) ولكن لصالح اسرة معاوية لا لصالح اسرة النبى •

ولما اصبح يزيد بن معاوية حاكما لدمشق فى افريل عام 680 أرسل المبعوثين الى كافة الولاة طالبا البيعة ، وقد قبل اغلب الولاة بهذا الامر ، ولكن عندما وصلت الرسل الى المدينة حيث كان يقيم اولاد على : الحسن والحسين ، آثر

---

(1) لزيادة التفاصيل ، انظر كتاب ريزفانى المسرح والرقص فى ايران ـ منيرونوف باريس 1962 •

الحسين الهروب مسرعا الى مكة كي يتجنب المبايعة تاركا اخاه الحسن وحيدا ، متعبا في المدينة المقدسة (1)

وفي هذه الاثناء كانت الحركة الشيعية قد اشتدت وراح القوم يفكرون بالكوفة في مبايعة الحسين ، وارسلت الرسل تباعا اليه تدعوه الى الكوفة ، ولكن عيون يزيد كانت تبلغه بما يحصل ، فاحس بالخطر وكلف حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد بأن يمنع بكافة الوسائل وصول الحسين الى الكوفة ، بينما كان الحسين واتباعه (ويبلغ عددهم ما يقارب المائتين) في الطريق اليها • وأمر ابن زياد فيلقا من الجيش الاموي بقيادة « الحر » بان يسد الطريق في وجه الحسين ، وتم اللقاء بين الحر واتباع الحسين ، ولكن الحر عوضا عن محاربة الحسين انضم هو وجنده اليه (2) • وفي اثناء ذلك بدأت اخبار خطيرة تصل من الكوفة : اذ دب الشقاق بين سكانها ولم يعودوا كلهم في صالح الحسين • عندئذ قرر الحسين عدم الذهاب الى الكوفة واتجه الى الشمال عن طريق الفرات

عند ذلك ارسل يزيد جيشا مكونا من اربعة آلاف جندي ليقضي على مجموعة الهاربين الصغيرة ، وكان هذا الجيش برئاسة شمر بن ذي الجوشن ، ولما وصل هذا الجيش الى سهل كربلاء ، قطع الطريق الى الفرات عن الحسين واتباعه (3) وزادت الحرارة اللاهبة من عطش الاطفال ولكن العدو كان يحرس ليلا ونهارا كل الطرق المؤدية الى الماء •

وحاول العباس شقيق الحسين ان يخترق الحصار ولكنه فقد كلتا ذراعيه ومات متأثرا بجراحه • وكاد ابن الحسين زين العابدين بيمار (اي المريض) يموت عطشا •

وفي صباح العاشر من محرم (العاشر من اكتوبر عام 680) نشبت المعركة ، وذبح كافة انصار الحسين (4)

---

(1) ب• جونستون • الحسن والحسين • او بن كورت 1909
بيلي : المسرحية المعجزة للحسن والحسين لندن 1879

(2) انظر القنصري « ابو القاسم محمد » استشهاد الحر بن يزيد طهران 1897 (ليتوغراف) •

(3) نولديك استشهاد الحسين في كربلاء برلين 1909 سلسلة المكتبة التركية

(4) شودزكو استشهاد الجندي ، نشيد الضحايا • 1855 •

وقطع رأس الحسين نفسه ، واخذت النساء والاطفال اسـرى الى دمشق ، وقد حملت كل رؤوس شهداء عاشوراء الى يزيد على السنـة الرمـاح (1) . وتقول الروايات ان يزيد قد عبث برأس الحسين المقطوع ، ومنذ ذلك الحين لم تكف (التعازى) عن اعادة تمثيل مأساة كربلاء وآلام السيد الحسين (2) .

كيف نفسر وجود هذا المسرح ؟ هناك سببان متكاملان يبدوان لنا حاسمين

الاول : سبب دينى ، والثانى : ذو طبيعة سياسية .

لقد اكتشفت الشيعة المسرح لانها مرت بتجربة الانفصال عن الدين .

وكانت نسبت اليها جريمة مقتل عثمان ، وكانت تعانى من الندم العميـق لانها مسؤولة بشكل ما عن مصرع علي ثم الحسين . لذلك اكتشفت الشيعـة الشعور بالذنب ووخزات الضمير الشقى .

ذلك أنها لما وضعت خارج المدينة السنية ، اكتشفت قوانين اللاانتمـــاء القاسية بنفس الوقت الذى احست فيه بالقوة المحررة فى الخروج عن القواعد واغراء « اللعنات الكبرى امام جدران المدينة » .

وفقد التاريخ من وجهة نظر الشيعة براءته الاصلية ، وتلوث الميثاق الـذى يربط بين الله وعباده بدم علي والحسين ، علينا اذن ان ننظف التاريخ من نتائج هذا الخطـأ ، حتى يبعث الامام المختفى من جديد وينقذ العالم (3)

اما النقطة الثانية فسياسية ، فعلينا الا ننسى ان التعازى قـد نشـأت فى فارس حيث لم ير الفارسيون فى حياة وموت الحسين قدرا مأساويا فحسب .. بل ضمنوا سير حياته الأليم مطامعهم السياسية والقومية المكتومة .

---

(1) اسماعيل خان سرباز – اسرار – الشهادات طهران 1875 .

(2) كى نكون اكثر دقة علينا ان نشير الى شيء من تفصيل (السينار يـــو) التابع لهذه المسرحيات . فهناك دائما مقدمة لهذه المسرحيات ترينا الملك سليمان على بساط الريح او قصة مجنون ليلى الذى اتى يشتكى للامـام جعفر الصادقمن انهم لا يعطونه يد ليلى .. او حادثة اجفا لدين الولـــد الثائر الذى اتت والدته تشتكيه للنبى .

(3) حول علاقة الدين بالمسرح الفارسى انظر مونتيه (الديانة والمسـرح فى فارس) مجلة تاريخ الديانات باريس 1887 . زورخ 1960 .

فحسين ليس ابن علي فحسب ، بل هو زوج شهرابانو آخر بنات الملك الساساني يزد جرد وهذا الاتصال يجعل من الحسين واحدا من الامة الفارسية

ويقول الوردي احد أئمة الشيعة في كتابه «وعاظ السلاطين» (1) لقد حصل علي (وكان المفضل عند الرسول) على مركز ممتاز في الاسلام جعل منه نصير الضعفاء والمظلومين »

وقد تابع ابنه الحسين القيام بهذا الدور ، وعندما احتلت الجيوش العربية والاسلامية فارس راحت هذه تفتش عن زعيم لها فوجدته في اكثر ائمة الاسلام تواضعا ، ونحن هنا امام مثال بارع من السنكريتية حيث تتخذ السياسة رداء دينيا والدين رداء سياسيا (2) .

ولكن مع الاسف فان سيرنوف قد حضر عام 1916 آخر عرض عام للتعازي في فارس ، وختم وصفه بالعبارات التالية : « وانه لمن المؤسف حقا أن تخسر فارس مثل هذا الشيء الغريب » (3) .

وقد تأكد زوال هذا النوع من العروض في يومنا هذا عندما سنت الحكومة الايرانية قانونا صريحا بمنعه .. فدفنت بذلك جثة مائتة .

علينا ان نشير اخيرا ان (التعازي) ما زالت تقام حتى اليوم في العراق في مدينة كربلاء بشكل لا يختلف كثيرا عن الشكل الذي وصفناه .

م . ع .

---

(1) الوردي (وعاظ السلاطين بغداد 1904) .

(2) انظر حول هذا الموضوع كتاب الكونت جوبينو (الديانات والفلسفات في اسيا الوسطى) باريس 886 ــ 1900

(3) سميرنوف ، الدين في فارس تفليس 1916 .

من أصداء الحضارة الإيرانية في قرطاج

بقلم : محمد فنطر

تحدث هيرودوت طويلا عن تاريخ الفرس وحضارتهم وجذورها فى أعماق الماضى السحيق . وأثبت هذا المؤرخ اليونانى أنه فى تاريخه للفرس عاد الى كتب فارسية عرفت بالثقة والموضوعية ولم يكن أصحابها من الذيـن يشدون مآزرهم لمدح الملوك والاشادة باعمالهم وان كانت غير خليقة بالاشادة .

ولقد عظم شأن الامبراطورية الايرانية وتألق نجمها عاليا فى السماء بدايـة من القرن السادس قبل ميلاد عيسى عليه السلام . ومما جاء فى تاريخ هيرودوت أحداث لها علاقة متينة بالاصطدام العنيف الذى شب بين الحضارة الايـرانية والحضارة اليونانية فى الخمس الاول من القرن الخامس قبل الميلاد .

ففى سنة 490 زحف الجيش الايرانى على السواحل اليونانية فتصدى لـه بنو اليونان وكانت معركة عنيفة فى منطقة مراتون Marathon الواقعة على بعد 42 كلم من مدينة أثينا . وتثبت النصوص اليونانية أن النصر كان حليـف الجيوش الاغريقية . وانطلق اثر الانتصار جندى يونانى قصـد أثينـا جريـا ليزف بشرى النصر الى الذين حكمت عليهم الظروف بالبقاء فى المدينـة مـن نساء وشيـوخ وأطفال .

وتثبت الرواية أنه قطع المسافة جريا من الميدان الى المدينة ونجد كلمـة « مراتون » فى لغة الرياضيين ولاشك أنها تشير الى ما قام به الجندى اليونانى عند قطعه المسافة الفاصلة بين ساحة الوغى ومدينة أثينا .

واصطدم الجيشان ثانية فى وقعة سلامين ، Salamine وسلامين جزيـرة يونانية تداعبها مياه البحر قرب شاطىء أثينا . وأشادت النصوص اليونانيـة بانتصار اليونان بالرغم من تفوق الفرس عددا وعتادا . وتذكر بعض المصادر أن الجيش الايرانى كان اذ ذاك معززا بالاساطيل الفنيقية . ومعلوم أن المـدن

الفنيقية كانت فى ذلك العصر خاضعة لصولجان كسرى ولقد تسلط الايرانيون عليها بعد سقوط الامبراطورية البابلية الجديدة سنة 539 قبل الميلاد وأصبحت البلاد الفنيقية ، نتيجة ذلك مقاطعة ايرانية • فكان ملوك المدن الفنيقية يمثلون الملك الايرانى فى مدنهم فبالامتثال يبقى الملك الفنيقى على عرشه وان لم يفعل سقط وبات العرش لممتثل مطواع •

كان الايرانيون يسوسون البلاد الفنيقية عن طريق ملوك فنيقيين ولعلها هى الطريقة الذكية التى لا تكلفهم عناء كبيرا • فلا شك أن المدن الفنيقية كانت تترقب فرصة الانتفاض للتخلص من سيطرة الايرانيين لكنها مع ذلك تفتحت على حضارتهم • فالتقت الحضارة الفنيقية بحضارة ايران فكان اللقاء مثريا بل قل ان الحضارة الفنيقية تفتحت لبعض العناصر الحضارية الايرانية كما تشهد به المعالم والتحف الاثرية التى كشف عنها الغطاء خلال حفريات انجزت بصور وجبيل وصيدا وغيرها من المدن الفنيقية • ولقد تجاوز تأثير الحضارة الايرانية حدود المدن الفنيقية الشرقية حتى أدركت شواطئنا كما سنحاول ضبطه فى الصفحات التالية بمثال واحد بسيط

عثرنا فى خرائب مدينة كركوان الواقعة بالوطن القبلى على قطعة فى فخار لها زوايا أربعة • ولقد رسم عليها قبل ادخالها الى الفرن صورة اله ممتطيا فرسا بحريا (I) • والفرس البحرى حيوان خيالى نصفه الامامى صورة حصان ومؤخره ينتهى بذيل سمكة فله اذن ميزات الحصان وله ميزات السمكة بزعانفها ذكرنا أن مؤخره ينتهى بذيل سمكة لكنه ذيل خيالى بل قل صورته لا تخلو من مسحة فنية اذ هو يشبه فى شكله زهرة الياس

ففى القصص الميثولوجية يمتطى اله البحر غالبا عربة تجرها جياد بحرية كما نشاهده على ألواح الفسيفساء • ولنا منها أمثلة بديعة بصورها وألوانها معروضة فى قاعات متاحفنا بباردو وسوسة والجم وغيرها •

وقد يمتطى الاله الحصان البحرى مباشرة وهو معروف فى الفن اليونانى كما تشهد به صورة رسموها على جوانب كوب مطلى بطلاء أسود • والكوب من صنع اليونان ويعود صنعه الى القرن السادس قبل الميلاد • وهو من معروضات متحف اللوفر Louvre بالعاصمة الفرنسية • وجاءت لقية كركوان تثبت

(I) انظر صورة عدد I ـ هذه القطعة من الفخار وجدت فى معمل لخزاف بونيقى مما يثبت ألها صنعت بالمكان •



الصورة عدد ١ : لوحة كركوان : إله البحر والقلنسوة الأسطوانية

أن البونيقيين صوروا اله اليم عندهم ممتطيا الفرس عاريا على غرار ما شاهدناه على الكوب اليوناني ·

فنحن لا نريد وصف القطعة الفخارية التى عثرنا عليها فى خرائب كركوان وصفا دقيقا · ولقد قمنا بدراستها وتحليلها فى مقال نشرته مجلة «افريقية» يصدرها سنويا المعهد القومى للآثار والفنون (1) · بل أريد الاكتفاء نظرا لموضوعنا اليوم بالتوقف عند القلنسوة التى لبسها الاله البحرى بمدينة كركوان · فهى قلنسوة اسطوانية الشكل وهى ميزة سنركز عليها اهتمامنا فى هذه الدراسة المتواضعة ·

لبس اله اليم بكركوان قلنسوة اسطوانية الشكل اذن ولقد لوحظ هذا النوع من القلانس على رأس كاهن نجد صورته منقوشة على نصب معروض فى احدى قاعات متحف باردو (2) · وتم اكتشاف هذا النصب البونيقى سنة 1921 وبفضل اكتشافه تمكن الاثريون اذ ذاك من العثور على معبد التوفات ذلك الذى كان مقصورا على عبادة بعل حمون وزوجته تانيت · وكان البونيقيون يقدمون اليهما ضحايا بشرية عثرنا على بقايا عظامها المحروقة فى قوارير مدفونة فى بطن التوفات · ومعلوم أن البونيقيين كانوا يلجؤون غالباالىالقرابين التعويضية حيث يقدمون كبشا أو ثورا مقابل الضحية البشرية أو قل فدية للطفل او الطفلة · والملاحظ أن الكاهن الحامل على رأسه قلنسوة اسطوانية الشكل نراه يحتضن طفلا صغيرا ولعله يتهيأ لتقديمه لاله التوفات أى لبعل حمون ·

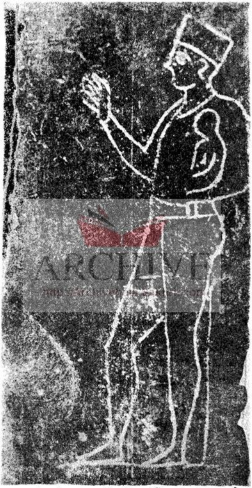
اما القلنسوة التى لبسها الكاهن المنقوش على نصب التوفات فهى تشبه التى لبسها اله البحر الذى رسمت صورته على قطعة الفخار المعثور عليها فى خرائب كركوان كما أسلفنا · فعلى الدارس أن يفتش عن اصل هذه القلنسوة فشكلها بسيط لكنه غريب بالنسبة لما عهدناه فى القلانس البونيقية (3) فمن أين أتت ؟ ومتى أصبح البونيقيون يعطون للآلهة والكهنة قلانس اسطوانية الشكل ؟

---

(1) انظر : Africa, I, 1966 p. 19-32

(2) انظر الصورة عدد 2 ·

(3) نحن بصدد اعداد دراسة حول اللباس البونيقى من خلال الصور المنحوتة والمنقوشة ·



الصورة عدد 2 : الكاهن القرطاجي (متحف باردو)

قد تكون من تأثير ليبي وبذلك يكون البونيقيون مدينين الى الحضارة الليبية النوميدية • وقد تكون القلنسوة الاسطوانية دخلت قرطاج عن طريق اليونان أو غيرهم من الشعوب المجاورة • وبعد البحث واستنطاق الوثائق تبين أن لا علاقة لها باليونان ولا بالليبيين ولا بالاترسكيين ولا بغيرهم من الشعوب المجاورة لقرطاج •

وطبيعي أن يعود الدارس الى المدن الفنيقية التي ساهمت في تأسيس قرطاج وسبك حضارتها • وطبيعي أن يفكر الدارس في تأثير فنيقي قبل أن يفكر في تأثير يوناني مثلا ، باعتبار أن أهم عناصر الحضارة البونيقية منحدرة مما نسميه حضارة فنيقية أي تلك التي تميزت بها المدن الفنيقية كصور وجبيل وصيدا وغيرها • فاذا أردنا التعرف اذن على مصدر القلنسوة الاسطوانية عدنا أولا وبالذات الى المدن الفنيقية لفحص الرسوم البشرية والالهية التي نقشت على الحجارة أو المعدن او العاج الى غير ذلك من الادوات وننظر فيها مليا علنا نجد ما قد يشبه القلنسوة التي تهمنا • تلك هي على كل الطريقة التي توخيناها عند دراسة لوحة كركوان •

ومن الثابت أن القلنسوة الاسطوانية معروفة في المدن الفنيقية • نجدها على بعض النصب الجنائزية كما نجدها على بعض النقود التي سكت بصور وصيدا• وتجدر الملاحظة أن هذه القلنسوة الاسطوانية لم تبرز في المدن الفنيقية الا خلال القرن الخامس قبل الميلاد وانتشرت في عهد تسلط الفرس فيه على السواحل الكنعانية •

ولما كانت القلنسوة الاسطوانية معروفة في بلاد الفرس قبل أن تبرز في المدن الفنيقية • ولما كان بروزها في الاوساط الفنيقية معاصرا لسلطان الفرس على الفنيقيين فليس من الاعتباطي ان نفترض دخولها في عالم الفنيقيين بدخول الفرس بلادهم وكانت تلك القلنسوة من لباس الملوك والآلهة عند الفرس• فكان ملوك برسيبوليس Persepolis يلبسون القلنسوة الاسطوانية وتعرف عند القدماء باسم سيداريس Cidaris • وكان الاله أهورا مزدا Ahura Mazda يحمل على رأسه نفس القلنسوة •

ولما تأثر الفنيقيون بالحضارة الفارسية وأصبحوا يقلدون أسيادهم في حياتهم اليومية وفي لباسهم فلا غرو أن يختار ملوكهم وآلهتهم القلنسوة الاسطوانية • لقد أشرنا الى دخول هذا اللباس عالم الفنيقيين ولاحظنا وجود

النصب والنقود الشاهدة على ذلك. لقد كشف الغطاء فى خرائب أم العوامد (1) بلبنان على نصب رسمت عليه صور أشخاص يحملون على رؤوسهم القلنسوة الاسطوانية ومن أشهرها نصب عرف باسم « بعل يتون » ولعله اسم الشخص الذى نراه مرسوما على النصب (2) . ولنذكر أيضا فى هذا الباب نصبا تحلى بصورة الملك الفنيقى « يخملك » عاهل جبيل . وهو ماثل بين يدى الالهة عشترت وعلى رأسه قلنسوة اسطوانية (3) .

أما فى باب النقود فنجد القلنسوة الاسطوانية على رأس الاله ملقرط وصورته منقوشة فى رأى بعض المفسرين على نقود ضربت بصور والملاحظ أنهم رسموه ممتطيا فرسا بحريا وفى ذلك على ما يبدو اشارة لمكانة البحر فى دنيا الفنيقيين ومشاغلهم .

فالقلنسوة الاسطوانية والاله الفارس عنصران يعودان بنا الى لوحة كركوان التى شاهدنا عليها اله البحر راكبا فرسا بحريا وعلى رأسه قلنسوة اسطوانية فصورة كركوان تشبه صورة النقود الفنيقية بل كانهم فى كركوان نقلوا ما شاهدوه فى مدينة صور . ومن ذلك قد نستنتج أن الذى رسم صورة اله اليم فى كركوان كان محيطا بعناصر الفن والزينة المعروفة اذ ذاك فى المدن الفنيقية . مما يثبت العلاقة المتينة التى كانت تصل بين المدن الفنيقية بشرقى البحر الابيض المتوسط والمدن البونيقية فى غربيه .

واذ ثبت لدينا أن القلنسوة الاسطوانية مصدرها بلاد الفرس وولجت البلاد الفنيقية بدخول الفرس عليها تبين لدينا أن نصب الكاهن المعروض بمتحف باردو ولوحة كركوان يشهدان حضورا ايرانيا بالبلاد القرطاجية لكنه حضور أتى عن طريق المدن الفنيقية .

م. ف.

---

(1) انظر : G. Contenau Manuel d'Archéologie Orientale t.III fig. 897 : Donal Harden, The Phœnicians London 1962 p. 103.

(2) انظر : G. Contenau, Manuel d'Archéologie Orientale T.III p. 1475 : fig. 896. La civilisation phénicienne Paris 1949 p. 100 fig. 5.

(3) انظر : E. Babelon, Traité des monnaies grecques et Romaines T. II PL, CXXII n° 15, 16, 22, 25, 26 etc.

وقد نقش على اسطوانة من الطين المطبوخ وجدت سنة 1879 فى منطقة (اور) فى « ما بين النهرين » ، وقد كتبت باللغة البابلية والاسطوانة محفوظة فى المتحف البريطانى ٠ بلندن ٠

ـ أنــا كــورش ـ

أنا كورش ملك العالم الملك الكبير ، الملك القوى ، ملك بابـل ، ملك سومر واكد ، ملك الاطراف الاربعة للعالم ، ابن قمبيـز الملك الكبير،ملك انشان،حفيد كورش ملك انشان الكبير،من اعقاب جيش بيش،الملك الكبير، ملك انشان، دوحة السلطنة الابدية ، موئل عناية (بعل ونبو) ومحل رعايتهما ، دخلت (تين تير : بابل) بلا حرب ولا مقاومة فاستبشر الناس بى وجلست فى قصور السلاطيـــن ، فـ (مردوك) الاله الكبير يربط قلوب الناس بى لانـى كنت منشغـلا دائما بالثناء عليه ، دخل جيشى العظيم (بابل) بكل سهولة ، ولـم أسمح لأى شخص بأن ينشر الخوف والرعب فى أرض « سومر » و « أكد » ، تألمت للاوضاع الداخلية ببابل وأمكنتها المقدسة فعمدت الى اصلاح الاوضاع ، وقد لقى اهلها فى ظلى ما املوا ، وتخلصوا من رق الملحدين ، كما وضعت حدا لتخريب بيوتهم ، كذلك لم اترك مواردهم المادية تذهب هباء ٠

فرح « مردوك » الاله الكبيـر باعمـالى ، وحيث اننى أثنيت عليه بسرور بالغ ، غمرنى عن طريق العناية الالهية أنا كورش الذى اعبده وابنى قمبيز وجميع جيشى ببركاته ، فملوك العالم الجالســون فى قصورهم من البحر الاعلى حتى البحر الاسفل ، وملوك المغرب الذين يعيشون فى خيامهم قدموا لى الخراج والهدايا الكثيرة وقبلوا قدمى فى بابل ٠٠٠ من « اشور » و « السوس » و « اكادة » و « اشنوناك » و « زامبان » و « متورنو » حتى نواحى أرض « كيوتيوم » ومدن مــا وراء دجلة المقدسة ، أرجعت الالهة التى نقلت اليهـا الى مواطنهـا ، جمعت الناس وبنيت مساكنهم من جديد ، واعدت الى سومر واكــد الهتها التى حملت الى بابل ، ووضعتها فى قصورها الــتى تسـمى (شادى دل) وبذلك انهيت غضب اله الالهة بامر من « مردوك » الا له الكبــير ٠

تعريب علي الشابي

مِن وحي القانون العام

بقلم : محمود العنابي

الاعلان الاول لحقوق الانسان

يمر الفان وخمسمائة عام على تأسيس امبراطورية من اعظم الامبراطوريات التى عرفها العالم منذ فجر التاريخ ، وكان تأسيسها على يد احد ابنائها الذين أطردوا العابرين الغاصبين ، الا وهى أمة الفرس العتيدة التى أتيح لها بفضل اخلاص ابنائها ان امتد سلطانها على أوسع رقعة من العالم فكانت المنافسة لدولة الروم التى يمتد سلطانها من البحر الاحمر الى المحيط الاطلنطى · وقد انتشرت حضارتها فى البلاد الداخلة تحت نفوذها والخارجة عنه مما بقيت آثاره خالدة الى اليوم فى لغات الامم المتحضرة وعاداتها ·

واذا كان مجال القول فى هذا الشان فسيحا فى ميادين الادب والفنون والتاريخ ، فمن المفيد طرق جانب آخر لم يسبق التبسط فيه لقلة مصادره وله مساس من قريب بالقانون العام وتسيير شؤون الدولة لم يعدم حظه من الانتشار الى هذا اليوم ، وسنتناوله على اساس ما عثر عليه من وثائق ثابتة كانت دفينة فى خزائن الزمان القرون الطويلة الى ان اكتشفها علماء البحث عن الآثار ، وكان فى مقدمتها نقيشة اسطوانية الشكل صادرة عن مؤسس هذه الامبراطورية قورش الثانى المعروف بقورش الاكبر ، فقد حدث التاريخ عن هذا القائد الكبير الحديث الكثير ، ونسب له من الكرامات بمناسبة فتوحاته وانتصاراته ، ما جعل روايات التاريخ حول حياته موضوع تضارب وخرافات ، حتى قال عنه المؤرخ اليونانى الكبير « هيرودوتس » ان الاحداث التاريخية الثابتة فى شانه هى التى روتها بدقة الوثائق المسمارية الرسمية المحفوظة فى الخزانة البابلية ، اما غيرها فلا بد من التحقق منه ·

وعلى كل فقد كونت هذه الروايات مجالات فسيحة امام الرسامين وناسجى الزرابى منذ القرن السادس عشر م· فرسموه ونسجوه فى الجداريات بمتاحف بوستن وكرينال فرومة وجنوة وفلورانسا ، وزرابى قصر فرساى

وجداريات اقبيته بفرنسا وكلها تمثل حياة قورش الخيالية ، ولا غرابة فى ذلك فقد كانت الاعمال الملهمة التى قام بها الابطال فى العهد القديم موضوع قصص وروايات نادرة ٠

وقد بقيت حقائق تاريخ هذا البطل مجهولة الى سنة 1879 م٠ حيث قام أكابر الاخصائيين من علماء الآثار البريطانيين بحفريات بالشرق الاوسط بمنطقة « أور » مدينة الكلدانيين القدماء فيما بين النهرين وعثروا على الوثائق التى كان أشار اليها المؤرخ اليونانى « هيرودوتس » وهى اسطوانية الشكل مكتوبة بمختلف اللغات الاشورية والارامية ففتحت مجالا للكشف عن الحضارات الفارسية المختلفة وسياسة ملوكها وكان من بينها تلك النقيشة الهامة من الطين المطبوخ المحفوظة الى اليوم بالمتحف البريطانى بلندن فقد ثبت انها مكتوبة بالاحرف المسمارية وباللغة الارامية السامية المنتشرة الاستعمال ببابل وتولى اولئك العلماء نقل عباراتها الى اللغة الانقليزية ، فانارت السبيل امام الباحثين مما كان له الاثر الاكبر فى ابراز مجد الامة الفارسية وعظمة تاريخها وفضلها على العالم حتى فى القانون العام ، وحق لجلالة الشاهنشاه آريامهر الحالى ان يصف محتوى تلك النقيشة بانه أول دستور لحقوق الانسان ٠

ولم نقف بالنشريات العربية التى لدينا على نقل نص تلك الوثيقة الى اللغة العربية ، فتفضل الدكتور على الشابى مشكورا ـ وهو احد رجال أسرة « الفكر » ـ بترجمتها الى اللغة العربية بالنص التالى :

« أنا قورش ملك العالم الملك الكبير ، الملك القوى ، ملك بابل ، ملك سومر واكد ، ملك الاطراف الاربعة للعالم ، ابن قمبيز الملك الكبير ، ملك انشان ، حفيد قورش ملك انشان الكبير ، من اعقاب جيش يش ، الملك الكبير ، ملك انشان ، دوحة السلطنة الابدية ، موئل عناية « بعل ونبو » ومحل رعايتهما ، دخلت « تين تير = بابل » بلا حرب ولا مقاومة فاستبشر الناس بى وجلست فى قصور السلاطين ، « فمردوك » الاله الكبير ، ربط قلوب الناس بى لانى كنت منشغلا دائما بالثناء عليه ، دخل جيشى العظيم (بابل) بكل سهولة ، ولم اسمع لاى شخص ان ينشر الخوف والرعب فى ارض « سومر ، واكد » ، تألمت للاوضاع الداخلية ببابل وامكنتها المقدسة فعمدت الى اصلاح الاوضاع ، وقد لقى اهلها فى ظلى ما أملوا ، وتخلصوا من رق الملحدين ، كما وضعت حدا لتخريب بيوتهم ، كذلك لم أترك مواردهم المادية تذهب هباء ٠

فرح « مردوك » الاله الكبير باعمالى ، وحيث اننى اثنيت عليه بسرور

بالغ ، غمرني عن طريق العناية الالهية أنا قورش الذي أعبده وابني قمبيز وجميع جيشي ببركاته ، فملوك العالم الجالسون في قصورهم من البحر الاعلى حتى البحر الاسفل ، وملوك المغرب الذين يعيشون في خيامهم قدموا لي الخراج والهدايا الكثيرة وقبلوا قدمي في بابل ٠٠٠٠٠ من « اشـور » و « سـوس » و « أكـادة » و « اشنوناك » و « زامبان » و « متورنو » حتى نـواحي ارض « كيوتيون » ومدن ما وراء دجلة المقدسة ؛ استرجعت الالهة التي نقلت اليها الى مواطنها ، جمعت الناس ، وبنيت مساكنهم من جديد ، واعدت الى سومر وأكد آلهتها التي حملت الى بابل ، ووضعتها في قصورها التي تسمى « شادي دل » وبذلك انهيت غضب إله الآلهة بامر من « مردوك » الاله الكبير » ٠

ولتوضيح الظروف التي احاطت باعلان هذه الـوثيقة الهـامة والغايـات الانسانية العالية التي تلوح من سطورها وجب عرض المامة خاطفة على التاريخ المعاصر لها ليدرك رجل القـانون مـدى اهميتهـا السيـاسية والاجتمـاعية والاقتصادية ٠

لقد حدث التاريخ القديم عن رقعة فسيحة من أرض القارة الاسيوية يحدها شرقا وجنوبا الاقيانوس الهندي وخليج العجم ، وشمالا بحر قزوين والبحـر الاسود ، وغربا البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر ، معظمهـا جبـال في الشمال وصحارى في الجنوب ، فكان الوطن الاول للانسان واقعا بين هـذه الصحارى وتلك الجبال في ارض هلالية الشكل ، صالحة للـزراعة ، عـرفت بالهلال الخصيب ، قدم فيها الانسان اجل ما بلغـت اليـه قـريحته في ذلـك العصر ـ الذي يرجع الى 3٠000 سنة (ق٠ م٠) ـ من ضروب الاكتشافات ، وبناء المدن ، واقامة الحصون المنيعة ، وادار فيها اهم الوقـائع والحـروب بين الامم ، فدالت دول ، وسقطت اخرى ، وتدمرت المدن ، وأقيمت مدن اخرى ، وتفنن الانسان في الغارات والاستيلاءات وانظمة الحكم في الـدولة وطـرق اخضاع الشعوب بالقهر والتعـذيب والحـرق والتقتيل والتشريد ، وانحدرت القبائل من اواسط آسيا ، فريق الى المشـرق والجنـوب ، وفريق الى الشمال والغرب فتكونت الامم والحضارات وظهر علم الفلك والتنجيم وانتشرت انواع المعتقدات والعبادات ٠

وكانت ايران منذ اقدم العصور ممرا للجماعات البشرية ، وملتقى لاجناس مختلفة ، وتيارات فكرية متباينة ، كما انها كانت عرضة لغـارات الغـزاة من القبائل الرحل الذين كان همهم النهب والسلب وتخريب المدن العـامرة غير

ان القوة الكامنة فى الشعب الايرانى وفى الحضارة الايرانية كانت دائما أقوى من هذه الجحافل فبعد ان تخف حدة الغزو تعود الحياة الى مجراها مرة اخرى ، فالدول التى تداولت على اجزاء الرقعة الفسيحة التى اشرنا اليها سابقا كان لها صداها الكبير فى التاريخ ، فهذه سومر مركز الامبراطورية الاولى فى التاريخ واهلها من السكان الجبليين ، تغلب عليهم فريق من الساميين الرحل ، ثم عاشوا جنبا الى جنب ، ودام ملكهم ثلاثة قرون الى ان ضعف امرهم واستولى عليهم « حامورابى » جامع اول قانون كتابى .

وهذه دولة اشور التى عاصمتها « نينوى » الواقعة بجزيرة دجلة والفرات كانت دولة عظيمة اتحد ضدها الميديون والفرس والكلدان الساميون واستولوا عليها واسسوا دولة كلدانية جديدة ببابل .

وهذه دولة الماديين الذين حكموا الفرس ، وعاصمتهم همذان اشتهروا بالشجاعة وحسن السياسة ، وفى سنة 625 (ق. م.) اتحدوا مع الكلدانيين واستولوا على « نينوى » عاصمة الاشوريين ودمروها وانتشوا بنخوة هذا الفتح فأخلدوا الى اللذات وتقهقر نفوذهم وصار الامر والنهى بيد الكهنة من المجوس ، وآخر ملوكهم « اسياج » جد قورش للأم .

وهذه امبراطورية الكلدانيين وعاصمتها بابل الشهيرة ، آخر ملوكها « نابونيدس » (بختنصر) اشتهر بعلو التربية ، وحب العمران ، والشغف بالحروب وتغلب على مصر والشام ، وخرب بيت المقدس ، وأسر اليهود ، ونقلهم الى بابل ، واعتنى بهذه العاصمة ، ونشر فيها اللغة الارامية ، وراجت التجارة رواجا عظيما ، وبنى القصور الفخمة ذات الاجنة المعلقة مما عد من عجائب الدنيا . الا انه كان واسع الخيال واراد ان يركز الديانة بعاصمته فنقل عددا من الارباب المحلية لذلك العهد بالبلاد الخاضعة اليه الى معبد « بعل مردوك » إله الآلهة ببابل فأثار تجديده هذا شكوك كهنة بعل ، واضمروا له العداء .

وهذه « أكد » الواقعة على السكة الكبرى التى تصل النهرين بالجبال الشرقية حكمتها قبيلة سامية من القبائل الرحل المعروفين بالآكاديين من ذوى الزعامة ، كثيرا ما جرت الحروب بينهم وبين السومريين الذين هم من القبائل الجبليين فغلب هؤلاء السومريون على أمرهم بالحملة التى قام بها « سرجون الآكدى » سنة 2750 (ق. م.) وكسر ملوكهم ، فكان اول ملك

أنشأ أمة عظيمة فى آسيا الغربية تمتد بلادها من عيلام الى البحر المتوسط ، ومن ثم شمالا الى محاذاة الرافدين ، واصبح افراد الامة قارين غير رحالين ، وانتقلوا من الخيام الى البناء .

وبالرغم عن عظمة هذه الدول وما احدثته من حضارات لم يتوصل حكامها الى الابقاء على الحكم بحسن المعاملة ، ومراعاة كرامة الانسان ، والمساواة فى الحقوق والواجبات بين الافراد والكف عن انواع التعسف والاستعباد ، فكان الحاكم ينعم بالصيد والرسم وسكنى بديع الفراديس وكل انواع الترف والملاهي على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها ، فيعاملها بأشد القساوة وسفك الدماء ، ومحاربة المعتقدات ، وتدمير معابدها ، وتحطيم اصنامها لاحلال معتقدات اخرى وضعية محلها .

وقد اثبتت بعض النقاش المعثور عليها ما يدل على ان اساس الحكم الى ذلك الوقت انما هو الاعتماد على القوة العسكرية واستغلال الانتصارات بدون اية رحمة ولا انسانية بل يفتخر الملوك المنتصرون بما قاموا به من انواع الظلم على الأمة المغلوبة ويسجلون اعمالهم كتابة على النقائش وتحفظ بالخزانة الرسمية بهذه نقيشة « أسيرنا سربال » سنة 884 ق.م. نقلها من الانقليزية الى اللغة العربية الاستاذ كمال العنابي :

« تطبيقا لامر آشور واشتار الالهين الكبيرين ، وبتأييد منهما ، هاجمت مدينة جينايو ، ومن اول وهلة قطعت رؤوس ستمائة نفر من جيوش العدو ، وقتلت ثلاثة آلاف سجين حرقا ، ولم اترك ولو شخصا واحدا يمكن اخذه كرهينة ، وقد سلخت جلد والى المدينة بيدى ، وعلقت جلده على سور المدينة ، ، هكذا سقطت مدينة الذهب بين يدى ، لقد قتل ثلاثة آلاف شخص ، وحرق الكثير ، وقطعت ايدى الكثير من المساجين وارجلهم ، وقطعت الكثير من الاصابع والانوف والآذان ، وفقئت العيون ، وقطعت آلاف الالسن ، فكانت هنالك اكوام من الجثث ، وعلقت الرؤوس فوق اشجار العنب خارج اسوار المدينة » .

وهذه نقيشة « سنشيريب » سنة 689 ق.م. نقلها من اللغة الانقليزية الى اللغة العربية الاستاذ المشار اليه .

« لقد حاصرت واسقطت اربعة وثلاثين حصنا ، والمدن العديدة التابعة لها ، وقد اسرت سكانها ، ودمرت بيوتهم ، وجعلت من الكل رمادا ، واحرقتهم

كلهم ، حتى ان الدخان بقى لمدة ايام عديدة يتعالى فوق الرماد وكـان دخـان لقربان كبير ، وعندما اسقطت بابل واحرقتها غيرت مجرى الفرات فتدفق على المدينة وعلى اطلالها حتى تنمحى كل الآثار بما فيها آثار الاطلال » ٠

ولكن مادرى هؤلاء الحاكمون الجائرون ان مـا ينـزل بالمجتمـع من مصائب وشقاء وفساد انما يرجع الى سبب واحد هو جهل كـرامة الانسان وحقـوقه والعبث بها او تجاهلها ، وعلى الباغى تدور الدوائر ٠

وهكذا كان ففى خضم هذه العبر من سوء سيرة الملوك مع الشعوب المولى عليها كانت توجد الاسرة الاخمينية وهى احدى القبائل التى تسكن جنـوب غربى ايران ، وقد اسست دولة صغيرة بأنشان تعاقبت عليها عدة ملـوك من العائلة القورشية ذات الاصالة فى الرأى والحنكة السياسية ، فكانت تـرقب الامور عن كثب ، وتتقد حماسا ضد ما هو جار من سوء تدبير فى الحكـم من القبائل الرحل الغاصبين ٠ فتوفق قورش الاكبر الذى كان ملكا على انشان تلك الدولة الصغيرة واستلهم من احساسه الوطنى وشعوره الفياض وعقيدته الروحانية ان يثور لكن لا للظلم والشهوات وانما لتطهير الأمة الايـرانية من الغاصب وابعاد الظلم عنها فى العاجل والآجل ، واهتدى الى ضم اشتات القبائل التى كانت تجمعه واياهم لحمة النسب وادخلهم تحت لوائه وفعـل منهم أمـة ايرانية يطربون لماضيهم الاصيل، واغتنم ضعف نفوذ الماديين الذين صار الامر والنهى فيهم بيد الكهنة من المجوس فطالب باستقلال أمـة الفرس وحارب فى ثبات وثار على الماديين فى حرب دامت ثلاث سنوات تمـت بانتصـاره عليهم ودخل عاصمة ملكهم « همذان » سنة 547 ق٠ م٠ وأسر ملكها « الستيـاج » الذى ثارت عليه جيوشه وسلموه الى منقذ فارس واستحق بذلك لقبا اعظم من لقبه السابق فأصبح « شاه ايران » ٠

فاندهشت ممالك الغرب ــ بابل ، مصر ، ليديا ــ لهذه الانتصارات ورأوا ان الخطر يهددهم من قريب فسعى قارون « كريسس » صاحب « ليديـا » فى ايجاد حلف بينه وبين مصر وبابل لابعاد الخطر لكن قورش الانسانى الثائر على الظلم وحب البذخ هاجمه واستولى على عاصمة ليديـا « صاردس » سنة 546 ق٠ م٠ واعتقله اسيرا ثم حول مجرى نهر الفرات وجعل مجراه القديم طريقا للوصول الى بابل فوصلها بدون حرب ولا قتال اذ كان اهلها على أحر من الجمر فى انتظار من يحررهم من نير الاستعباد نتيجة السياسة القـاسية الذى كان يتبعها نابونيدس (بختنصر) فثار احدهم الذى يدعى « كابورو البابلى » والى

الزاب وديالة بمساعدة الكهنة المحافظين الذين اغضبهم نابونيدس عندما اراد توحيد المعتقدات بجعل بابل مركزا لها ومهدوا لقورش الدخول اليها في نخوة مبهرة بدون اراقة دماء وبدون تهديد او اى عسف وكان ذلك سنة 539 ، وما ان دخلها حتى عم البشر والسرور اهلها ، وكانت باكورة اعمال هذا الفاتح منع السبى وحماية المعابد وارجاع صور الآلهة الى امكنتها المنقولة منها وارجع لليهود اواني الذهب والفضة التى اخذت من معبد سليمان ووجدت في خزينة نابونيدس وسمح لهم بالرجوع الى ارض فلسطين وان يعيدوا بناء المعبد المهدوم ، وما ان تم هذا الانتصار حتى أصدع فى السنة الاولى من جلوسه بالمبادىء التى يركز عليها سياسة دولته والتى طبقها تطبيقا حسنا واصدر الوثيقة المعلنة لاحترام الكرامة البشرية على الاسطوانة المكتوبة بالاحرف المسمارية وبلغة اهل بابل ، وانتهج سياسة المجاملة ، وحسن المعاملة حتى مع اشد اعدائه من الملوك الذين دخلوا تحت أسره حتى ادعى الاشوريون انه رسول الاله مردوك فهو لم يجر الاسرى على الارض والحصا وراء عربة انتصاره ولم يقهرهم قهرا ، ولم يدس كرامتهم ·

ومات قورش سنة 529 ق· م· فى احدى المعارك التى نشبت بينه وبين بعض القبائل الرحل الضاربين فى الشمال الشرقى من ايران بعد ان دام ملكه تسعا وعشرين عاما ، وقبره معروف الى اليوم على أصح الروايات ·

لقد بان من العجالة السالفة ما اثبته التاريخ من الاسباب التى حركت الشعب الفارسى للمطالبة باستقلاله ثم بتوسعاته وقيامه امبراطوريته العظمى ، واتضح ايضا من الوثيقة ان الغاية من تأسيس هذه الامبراطورية تحرير الفرد من العبودية وصيانة الكرامة البشرية فاعلان ذلك كتابة هو طريقة جديدة ما زالت متبعة إلى الآن بين الدول من صدور الاعلان الذى يسبق الدستور ويشير الى السياسة التى تعتزم الدولة انتهاجها ·

وفعلا لقد تباشر اهل بابل لما يعلمونه من نزاهة محررهم فاستحق ان يتبوأ عرش سلاطينهم والجلوس فى قصورهم بدون مثال بعد ان كان لهذا العرش وهذه القصور من المناعة ما لا يستطيع معها أحد ان يقترب منها او يهدد سلامتها ·

لقد امتاز هذا الاعلان باسلوب سياسى حكيم اذ افتتحه قورش بلقبه الجديد الذى استحقه بموجب اعظم انتصار حققه (أنا قورش ، ملك العالم ، الملك الكبير ، الملك القوى ، ملك بابل ، ملك سومر واكد ، ملك الاطراف الاربعة للعالم) (وطريقة خلع اللقب على صاحب الدولة ما زال معمولا بها الى اليوم

من طرف اصحاب الدول لكن لا تعترف به الدول الاخرى الا اذا كان مـلائما لوضع الحقيقى للدولة من حيث الاهمية واتساع النفوذ والابتعاد عما يشتم منه تهديد سلامة الدول الاخرى) . ثم بالتعريف بنفسه (ابن قمبيز الملك الكبير ملك أنشان الخ .) ولم يستطع ان يفسر اهمية نجاحه فى هذا الانتصار الكبير الا بفضل تدينه وابتهالاته الى معبوده مردوك الذى اختاره لهذه الغاية وسخر نه الناس بان ربط قلوبهم به فأعانوه على دخول بابل بدون حرب ولا مقاومة وذلك فضل عظيم يقوى فى عبادته ، ويزيد فى اقامة شعائره ، وتمنى ان يمتد ذلك الى ابنه قمبيز ليحكم الامبراطورية بعده ولكل من يتزايد من ذريته ولحفوده ، ثم هو يضبط اركان سياسته العامة ويركزها على ضمان حقوق الانسان علما منه ان اكتمال هذه الحقوق هو اكتمال لمناعة الدولة واستقرارها .

وبالتأمل من نص الاعلان نستخلص منه المبادىء الآتية :

اولا ـ ان هذا الاعلان يعتبر التصريح السياسى الاول من نوعه اذ لم يعثر لحد اليوم على تصريح مثله اسبق تاريخا ، وهذا الاعلان ولئن لم يعثر على نصه الكتابى الا منذ ما يقرب من تسعين عاما لكن دخول مبادئه فى حيز التطبيق نالت شهرة اصبحت معها معلومة من الخاص والعام وتناقلتها الاجيال فالتصاريح الصادرة فى العصور الموالية الى اليوم ما هى الا توسع واكمال وإيضاح لما سبق حسبما اقتضته الظروف الزمانية والمكانية واحوال كل أمة.

ثانيا ـ افاد هذا الاعلان امتياز قورش بالذهنية التأملية فهو يمتاز بالشعور بالدولة وانه خادمها وحاميها والساهر على مصالحها والمتفانى فى الدفاع عنها والقائم على قسطاس الحق فيها ، كما يمتاز بالحس بالنظام الاجتماعى وبالشعور بالحس الانسانى ، فبعد ان كان اسم « سنحاريب » بن « سرجون الثانى » يلقى الرهبة فى قلوب الناس فى دانى البلاد وقاصيها صار قورش يغرس فى نفوس الايرانيين تدعيم القيم الانسانية العليا التى ترتكز على هدم الطبقية والعنصرية ، وعدم التفرقة بين الاجناس ، وضمن للانسان افضل الصفات الملتصقة به من حين وجوده ، فلا اعتداء عليها ولا خوف ولا رعب فى المستقبل ، وان بناءه لهذه الامبراطورية الجديدة لم يكن لخصوص بلاد الايرانيين ، ولكن لخارجها ايضا فى بلاد الاشوريين والبابليين والعيلاميين الذين هم شعوب ساميون ، فهو بذلك قد ضم افضل حضارية آرية الى افضل حضارية سامية فاخرج منها حضارة مشتركة كبرى عادت آثارها على العهود المتعاقبة بعده وهو بذلك قد بلغ به الحس الانسانى ما جعل منه الرجل المتحرر من الاوهام العنصرية والعقائدية الضيقة .

ثالثا — تحقيق الامن على ذلك (لم اسمح لاى شخص بان ينشر الخوف والرعب بارض سومر واكد) .

رابعا — تحقيق الامن على المكاسب (وضعت حدا لتخريب بيوتهم كذلك لم أترك مواردهم المادية تذهب هباء) .

خامسا — ضمان حرية الفكر والعقيدة وظروف آداء طقوسها (تألمت للاوضاع الداخلية ببابل وامكنتها القدسة فعمدت الى اصلاح الاوضاع وقد لقى اهلها فى ظلى ما املوا تخلصوا من رق الملحدين) (ارجعت الآلهة الى مواطنها واعدت الى سومر واكد آلهتها التى حملت الى بابل ووضعتها فى قصورها وبذلك انهيت غضب إله الآلهة) .

سادسا — ضمان حرية الاجتماع (جمعت الناس وبنيت مساكنهم) .

سابعا — ضمن هذا الاعلان الوضع الجديد للدولة فى الحال والاستقبال (فرح مردوك باعمالى وحيث اننى اثنيت عليه غمرنى عن طريق العناية الآلهية أنا قورش الذى اعبده وابنى قمبيز ، وجميع جيشى ببركاته فاخضع لى جميع ملوك العالم ، وقدموا لى الخراج ، والهدايا الكثيرة ، وقبلوا قدمى فى بابل من اشور الى نواحى ارض « كيوتوم » وما وراء دجلة القدسة) .

ثامنا — ان هذا الاعلان يعتبر بالنسبة لعصرنا الحاضر اول تصريح رسمى بالاعتراف بحقوق الانسان ويعبر عما كانت تحتاج اليه انسانية ذلك العصر من الحقوق بما ورد بعدها من تصاريح فى العصور الموالية ما هو فى الحقيقة الا امتداد لما حصل من احداث سياسية فى العلاقة بين الحاكم والمحكوم ادى — فى تطور بطيء — الى زيادة الايضاح فى الحقوق الاساسية للانسان التى يجب على الحكومات احترامها على نحو ما فرضه الزمان .

تاسعا — امتاز هذا الاعلان بصدوره عن رئيس الدولة تلقائيا ، اما ما تلاه من الاعلانات الاخرى التى سيأتى بيانها فهى نتيجة مطالبة الشعوب بها ولم تبلغ اليها الا تحت سيل من الدماء المراقة .

عاشرا — ان المبادىء الانسانية التى شملتها هذه الوثيقة دلت على ان هذا الاعلان هو اول من نادى بها فى التاريخ ودليل ذلك انها بمقارنتها بما تلاها من التصاريح يظهر ان لا فرق فى مراميها الا فى الغموض والوضوح ، والاجمال والتوسع ، وفعلا فان ثانى اعلان لحقوق الانسان كان نتيجة الحكم الفردى الذى حير فلاسفة القرن الثالث عشر م. بانقلتيرا وحملهم على دراسة

فلسفة الحكم ، واثبتوا ان استبداد الحاكم الفردى يعد نكبة على الشعوب وان الحد من سلطته ضرورة قومية ذلك ان انقلتيرا عرفت فساد الحكم الفردى فى شخص ملكها الطاغية « جوهن » الذى كرهه الشعب بجميع طبقاته وآل بهم الامر الى الاجتماع سرا وحرروا الوثيقة المعروفة باسم « الـوثيقة الكبـرى » باللغة اللاتينية Magna Carta وجابهوا بها الملك فلم يجد من يناصره ونزل عند ارادة الشعب وامضى عليها يوم 15 جوان 1215 ، واعترافا منه بمـا جـاء فيها من قيود للحد من سلطته لفائدة المحكومين وحمله على احتـرام القـانون وعدم مس حرية الفرد الا بالقانون على طريق القضاء واعتبار الحرية الشخصية مأمونة ، وحق الملكية ثابتا ٠

ثم بعد اربعة قرون اى فى عام 1689 حصلت ثورة جديدة فى انقلتيرا ضد حكم الملك (جيمس الثانى) فصدرت عن البرلمان الانقليزى وثيقة جديدة سميت (وثيقة الحقوق) اعطت حقوقا جديدة للشعب فرضها الزمان وهى تتمثل فى خضوع الملك للقانون ، وجعله مسؤولا امام البرلمان وان البرلمـان هو الـذى يقضى فيمن يكون ملكا ، ، فاصبح بذلك صوت الشعب فوق صوت الملك ، واستقر هذا النظام قائما الى اليوم لشعور الحاكم والمحكوم بان مصلحة الشعب قبل كل شيء ٠

وقد تلا تلك الوثيقة وثيقـة اخرى جـديدة تعـرف بـ « وثيقـة الحقـوق الاميريكية » التى حررت عند الاعلان عن استقلال اميريكا الشمال عام 1776 ٠ وقبل تحرير الدستور ، فقد تضمنت مبادىء العدالة ، والانسانية ، ووصفت بانها المبادىء التى تقوى الضعيف لينتصر ، وتضمنت « ان النـاس خلقـوا متساوين ومنحهم خالقهم بعض الحقوق التى لا تبديل او تعديل لها ومن جملتها حق الحياة والحرية والبحث عن السعادة ، لكى يتمتع الانسان بهذه الحكومات ، واستمدت سلطتها من المحكومين ، ومتى جارت حكومة حق للشعب ان يزيلها، او ان يستبدلها بحكومة اخرى يرسى اسسها على تلك المبادىء والنظم الكفيلة بتأمين سلامة المحكوم وسعادته » ٠

فكل من الوثيقتين الانقليزية والاميريكية تضمنت من المبادىء مالا يبعد عما تضمنته الوثيقة الفارسية الا فى كون التطورين الاخيرين كانا نتيجة الاستبداد بالحكم او الاستعمار ، وكانت المطالبة بالحقوق صادرة عن الشعب تذكر صراحة وجوب التحديد من سلطة الحاكم الفردى واخضاعها الى القانون وحمل صاحب الدولة على الاعتراف بحقوق الانسان التى لم يحترمها بموجب سلطته المطلقة ٠

ثم يحدثنا التاريخ عن اعظم وثيقة اخرى بلغت من الشهرة حدا بعيدا لانها كانت نتيجة ثورة عظيمة عرفها التـاريخ هي ثـورة الشعب الفـرنسي سنة 1789 ، ومطالبته باحترام حقوق الانسان والمواطن بوثيقة صنعت في ظرف مدة وجيزة وصادقت عليها « الجمعية الدستورية » في 26 أوت 1784 ، فكانت هذه الوثيقة مقدمة للدستور الفرنسي لسنة 1791 ، واشتملت على سبعـة عشـر فصلا نصت بصراحة تامة على كل ما يتطلبه انسان ذلك العصر من الحقـوق التي يجب ان يتمتع بها حيثما كان ، وهي بالخصوص الاعتـراف بان النـاس ولدوا احرارا وسيبقون احرارا وهم متساوون في الحقوق ولا تمييز في المجتمع الا على اسس المصلحة العامة ، ولا غرض للهيئات السياسية الا صيانة الحقوق الطبيعية للانسان ، المتمثلـة في الحـرية ، والملكيـة ، والطمـأنينة ومقـاومة الاضطهاد ، وان السلطة مصدرها الشعب وحده ، ولا يحق للفرد او اية جماعة ان يمارسوا السلطة الا اذا استمدوها من الشعب ، وحـددت بقيـة فصـول الوثيقة درجة الحرية ، والحدود التي يمكن ان يتداخل فيها القانون ازاء الفرد ، ومنح الهيئة الاجتماعية حق محاسبة الموظف العام ومراقبة اعماله ·

اما آخر وثائق حقوق الانسان التي عرفت الى اليوم وستبقى قائمة لهـذه الغاية ، فهو التي اصدرتها هيئة الامم المتحدة ، فبعد الحرب العـالمية الثـانية ، تولدت فكرة مقاومة الحروب ، وتوطيد مبـادىء السلـم للجميـع ، وتأسست جمعية الامم المتحدة سنة 1945 ، وانضم تحت لوائها اغلبية الدول ، فكان من نتائج اعمالها تأسيس تسع لجان لمختلف الاغراض منها لجنة حقـوق الانسـان شعورا منها بان توطيد هذه الحقوق اصبح موضوع مسؤولية عالمية ، فاكملت هذه اللجنة دراستها لهذه الحقوق ، وعرضتها على الهيئة العامة للجمعية التي وافقت عليها ، واعلنتها يوم 10 ديسمبر سنة 1948 ، واصبح هذا اليوم يوم عيد سنوي لحقوق الانسان تحتفل به الامم للتذكير بها ، وتعـداد مزايـاها ، للمحافظة على السلم عامة ·

وكان هذا الاعلان محللا لكل انواع الحقوق التي يتطلبهـا جنس الانسـان مهما كان الزمان والمكان ، جامعا ما جاء في الـوثائق السـابقة او مـا اقـرته التقاليد الدولية ، واضافت اليه ما اقتضته الظروف الاممية لحفظ الامن والنظام العام ، وصاغته في ثلاثين فصلا موجهة لجميع الامم لتعتمـد عليها في اقـامة دساتيرها ، وفي سلوكها السياسي الداخلي والخارجي فكانت هذه الـوثيقة الاخيرة اكثر تحديدا للمعاني ، واصرح لفظا ، واشمل موضوعا ، وفعلا بعد التأمل من اعلان سنة 539 (ق· م·) ، واعلان 15 جوان 1215 م· ، واعلان سنة 1689 م· ، واعـلان 1776 م· ، واعـلان 26 أوت 1789 م· ، واعـلان 10

ديسمبر 1948 م. ، يتضح ان العبارات الواردة فيها تهدف اولا وبالذات الى ابراز حقوق الانسان التى لا يمكنه ان يتنازل عنها مختارا لانها لصيقة بالشخصية البشرية ، ومن الواجب ان تحترم فى كل زمان ومكان ، وان يكون لها من الضمانات ما يحميها من كافة انواع الظلم السياسى والاجتماعى لتضمن السعادة للجميع ، ثم هى تتطور بالتنصيص على اساليب الحكم وربطه بسلطة الشعوب ، اما اعلان قورش فعباراته موجزة وعامة لكنها تحمل بين سطورها أدق المعانى التى عبرت عنها الوثائق التالية لها ، فالتعبير القورشى المتعلق بالامن على الذات (لم اسمح لاى شخص بان ينشر الخوف والرعب فى ارض سومر واكد) هو التزام من الدولة بان لا ترتكب اى اضطهاد او تعسف فى استعمال حقها الا فى نطاق النظام ، وعدم المس بحرية الفرد وحقه فى الحياة ، ولا يناله عقاب لا يستوجبه ولا يعتدى الافراد على بعضهم بعضا او على النظام ومن يخالف كل ذلك جزاؤه العقاب .

اما عبارة (وضعت حدا لتخريب بيوتهم ولم اترك مواردهم المادية تذهب سدى) فهى التزام بحرمة الملكية الفردية وحمايتها فلكل فرد الحق فى ان يملك البيوت بكل حرية ، ولا حق لاى كان من رجال السلطة او غيرهم ان يهدد سلامة تلك الملكية ، فقد وضع حد لتخريب البيوت او اغتصابها ، ولكل فرد الحق فى ان يملك ما شاء من موارد العيش له ولافراد أسرته تجارية كانت تلك الموارد ، او صناعية ، او فلاحية ، وحرية ملكية الموارد تبيح لكل فرد التمتع بلذائذها ، واستغلال خيراتها لا فرق بين الحاكم والمحكوم .

واما حرية الاجتماع فهى مضمونة (جمعت الناس وبنيت مساكنهم) فاجتماع الناس يتكيف بالسكنى فى المدينة وتقارب بعضهم من بعض ، وبالملاقاة وتجاذب أطراف الحديث ، تبادل الرأى ، والجهرية بدون خوف ولا تهديد ، وبناء البيوت يفيد حرمتها وعدم التدخل فى الاحوال الداخلية للفرد فى بيته .

واما الضرائب فهى قدر مباح ، استوى فيه الناس جميعا ، حاكم ومحكوم ممن خضعوا للامبراطورية الجديدة فقاموا بواجبهم للتعبير عن رضاهم بالنظام الجديد ، ومده بالموارد لتسيير شؤون الدولة ، فدفعوا الخراج مع الهدايا المعبرة عن السرور والارتياح فلا عبث ولا استباحة لثروات الفرد مهما كان الحال .

واما حرية الفكر والجهر بها ، وحرية ممارسة العقائد فهى مضمونة ، وتحميها الدولة لانها كانت من أهم الاسباب التى رعت انتباه مؤسس هذه

الامبراطورية ، وتألم للاوضاع الداخلية ببابل وامكنتها المقدسة ، فأصلح الاوضاع ، واعاد الآلهة الى امكنتها الاولى ولقى بذلك اهل البلاد ما كانوا يأملونه لانهم فى اشد الحاجة لمن يحررهم من الملحدين بعد ان نكبوا فى آلهتهم وعقيدتهم لجبرهم على تغييرها ٠

وهكذا يتجلى ان النظام الذى سن لهذه الامبراطورية الجديدة هو نظام أمن وسلام تعلن عنه الدولة ، ولم تتعود الشعوب به رسميا بل كانت رفاهية الشعب وهناؤه مرتبطين بسيرة الحاكم وعدالته الفردية بدون وازع ولا رقيب ٠ اما الامبراطورية الجديدة فنظرتها للحكم نظرة مشبعة بروح تجميع الشعوب المختلفة الاجناس واللغات والحضارات تحت صولجان واحد لها عين الحقوق وعين الواجبات باحترام المعتقدات والعبادات وسائر الحريات وان لكل جنس من الاجناس المتساكنة ضمن نطاق الامبراطورية من الحقوق والواجبات ما لغيرها من بقية الشعوب التى تسكنها،فكل يمارس دينه كما يريد، ويعيش ضمن عاداته وتقاليده كما يريد ، ويحظى من رعاية صاحب الدولة بكل عطف واحترام ، فهو يعامل الساميين مثلما يعامل الآريين والحاميين بنظرة انسانية عليا فيها مراعاة الاحساس الانسانى من سراء وضراء ، وسرور وحزن ، وشبع وجوع ،ولذة وألم ، وهى مشاعة عامة لدى الجميع ٠

تلك هى وثيقة الاعلان الاول لحقوق الانسان التى كان لها الاثر انفعال فى تركيز الامبراطورية الايرانية وخلود تاريخها الى اليوم ، والتى افصحت عما كانت تجرى عليه المجموعة البشرية من ذلك العهد قصد تحقيق كرامة الانسان ، والذود عن حريته فى رأيه ومعتقده وأمنه ومساواته مع أخيه الانسان ، برهنت الوثيقة بكل وضوح ان لا سبيل للامن والاستقرار الا باحترام تلك الحقوق فى نطاق القانون العادل ، وهو ما ادركته الامة الايرانية منذ ألفين وخمسمائة سنة وحق لها اليوم ان تحتفل به ، وحق للامم المحبة للحرية والسلام ان تشاركها فى احياء هذه الذكرى المجيدة ، وان تستخلص منها العبر حيث كان لها الفضل فى انشاء مبدا احترام حقوق الانسان وادخاله ضمن مبادىء القانون العام واعتمدته دساتير الامم الشرقية والغربية الى اليوم ٠

وسيبقى اسم قورش الاكبر مقترنا به ، وستبقى الامة الايرانية حية مهابة بما حققه لها هذا البطل من تاريخ حافل ، ومزايا على الانسانية ، وعلى الحضارة وتقدم العلم ، وعسى ان تكون ذكراه يوم ذكرى فى كل عام ٠

م٠ ع٠

المشهد الأول من مسرحية :

رستم بن دستان

بقلم : مصطفى الفارسي والتيجاني زليلة

(فى قرية من قرى ايران تجمع فى الساحة حول المداحين خلق كثير ٠٠٠ بعد حصة تعالى فيها نقر الطبل ورنين المزمار يتقدم رئيس الجوق الى قلب الساحة ويتوجه الى الجمهور)

المـــداح

نحن الممثلون
نحـن المهرجـون
نحن الـدراويـش
نحـن العرافـون
البهلـوانيـون
القصـاصـــون
الـدجـالـون
هكذا يقـولون
ويقولون انا مهذارون
نشـالـون
شحـــاذون
ثرثـارون
ويقـولـــون
كذابـــون
أدعيـاء ٠٠٠ متشـدقـون
لكن ٠٠٠ ما شأننا وما يدعون ٠٠٠ نحن أعرف بانفسنا منهم ٠٠٠ ونعلم

(*) عنوان المسرحية رستم بن زال من وحى شاهنامة الفردوسى ٠

أنا بما نملك مسرفون ··· نبيع الاحلام نوفى كيلها والميـــزان ··· محسنون نحن ··· يا كرام الاحساب والانساب ··· نحن الطيبون ·

نحن السحرة ··· قهرنا الزمان
قتلنـا حمـاتـه
قتلنـا ايامه ولياليه
نقصب الساعـات
نبـدد الآهـات
نسـوى الامس الذى كان
نحن من طينة المستحيــل
نحن فى المرآة ··· ووراء المرآة
نحن النفى والثبـات
باطن ما نسر على ظاهر ما نعلن
نحن اعـوان الذكريـات
نحن الكلمة الصريحة الهتافة
والنغمة المرنـة الشفافـة
نحن الهدءة بعد الهرج
ونحن السـكون
نحـن حمـاة الضائعين
نحن فداء المنكوبين ·· المكدودين ··· المنهوكين ···
الشوك نحن ·· فى حلق الطغاة الظالمين
لا نسكت على ضيـم
صرخة الحق فى حناجرنـا
نقولهـا ··· نزأرهـا
نحن صـوت الاتهـام
نحن الدعاة الى السلام ··· الى الوئـام
نذكـر بخطـوب الزمـــان
ونتكهـــن
ونتـوعـد

هلموا أصدقاءنا الصغار ··· هلموا ايها الكبار ··· انصتـوا وشاهـدوا ولتشحذوا الليل بابصاركم ولتحددوا الينا الانظار ···

ليحملكم الخيال على جناح العنقاء الحنون ام دستان بن سام بن نريمان بـن

كرشاسب ٠٠٠ ولتحلقوا معنا على قمم ما زندران ووهاد زابلستان وسهول سجستان وهضاب كابل وسمنجان وزاؤلستان ٠٠٠

لنلحب معا مسالك ايام كان ٠٠٠ ويا ما كان ٠٠٠ فلا معرفة ـ سادتى ـ لما سيكون الا بما قد كان ٠٠٠

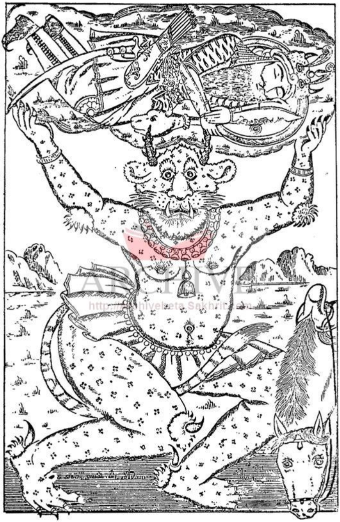
الخلود لليد التى حررت الفرحة فى صدور ابناء ارضنا الخصبة المبكار ٠٠٠ الخلود للساعد الذى قهر الخوف وبدد الخذلان ٠٠ الخلود لزارع الامن والاطمئنان ٠٠٠

الخلود لك يا رستم العظيم يا ابن زال دستان بن سام ابن نريمان ٠

كيف ؟ يقينى انى لم أفهم ٠٠٠ يجوز أن تكذبنى العين ٠٠٠ قولوا انى لم أفهم ٠٠٠ ايمكن الا تعرف رستم ؟ أيعقل يا ناس ان يجهل هذا الرجل ٠٠٠ بطل ابطال ايران ؟

لا تعد ما قلت ايها التعس ٠٠٠

تدعى ان رستم لم يوجد ٠٠ ؟ تدعى انه وليد الخيال ٠٠٠
لم يوجد ؟؟ لم يوجد ؟ !
وهل أنت موجود ايها الشبح الباهت
يا أقل من شبح ٠٠٠ يا بعيضة الاشباح !
لو لم تكن من فخار لصحت فيك صيحة فجرت كشحك الدميم ٠٠٠
استغفر الله لك ٠٠
سامحونى يا سادة على مابدا منى من الشتم والسباب ٠٠٠
فالوقاحة أخت الجحود وقد افقدنى جهل هذا الرجل كل اتزان ٠٠
أنصتوا أكرمكم الله ٠٠٠ رب العباد
الريح التى تعصف الآن ليست من بنات الرياح
وهذه الرجات التى تهتز لها الارض اهتزازا ٠٠٠ ليست من زلزال ٠٠٠
ذاك رخش رستم يرجم الارض رجما ٠٠٠
فلنقتف اثره الى مخارم الغيب ٠٠٠ الى مسالك الماضى البعيد ٠٠٠



أكوان الجنى يحمل رستم والأرض التى هو نائم عليها

[من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥]

رستم ورخشه اسمان لا يفترقان ··· اسمان مقرونان ··· منقوشان على لوح الزمن ··· فانقشهما يا هذا فى ذاكرتك المتقاعسة الكسولة ··· وعمر قلبك بالايمـــان ··

رستم يا سيدى ··· من الاولياء الصالحين ··· حمى اللـه حمى ابنـائه واحفاده الميامين ··· آمـين

قولوا معى آمين (ـ ···) مرة ثانية آمين (ـ ···) وثالثة آمين (ـ ··)

آميـن ··· اللهـم آمـين ··

وثقوا الآن أشطانكم ايها الكرام وشدوا بعضكم بعضا لتستشفوا استار الزمان ·· الزمان الذى كان ···

السحر فن وصنعة ··· وسحرنا أن تبصر منكم العيون وتسمع الآذان ·· سحرنا ان ننزع عنكم الهموم والاشجان · فليسرح خيالكم فى مراتع سجستان

طبل انت يا ولد ··· وانت يا زمار ···

كيـف ؟ ؟

لا تستطيعان ؟؟ أو أنتما لا تريدان ؟؟ قولا ولا تستنكفا فالصراحة من الايمان صفحكـم يا سـادة ···

الريح لا تشبع نهم الطبول ولا يطفىء الظمأ الا ما طاب وسال ··· طابت أيامكم لتتراضعوا صفو المدام وتتلاطفوا بحلو الكلام حتى تقدح فى عقـولكم الاقداح ··· وتتمكن من نفوسكم الراح ··· راح الجنة ·· ان شاء الله ··

ما هـذا الفحيـح ايها المزمـار ؟
فظيـع ·· فظيـع ···
انه يحتضر ··· انه يلفظ الانفاس
مسكين انت ايها الارغن الحنون ···
تمهـل ··· تمهـل ···

الطبيب ··· الطبيب الطبيب من عرف سبب الداء ···
هذا الارغن جائع ··· ومثله ··· هذا الطبل ···
متاعنا يا سادة اذا جاع بكم
أعينوا المحتاجين واجزلوا العطاء ··

من القطرات تتغذى الجداول ··· ومن الجداول تولد الانهار ···

قلبي رحيم ويدي سخية ··· أعطي مرة وأعطي ثانية واعطي ثالثة ··· ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ···

الفطرة سبعة ··· غفرانك يارب ··· أعطيت اكثر مما استطيع واقل مما يلزم ···

سلتي هذه على ذمة المحسنين
لا تتزاحموا ايها السادة ···
انا اكتفي بالاشارة

اشارة من اليد ··· من الاصبع ··· من العين ·· فالعين باب النفس ·· فلتسبق عينكم اليد ايها الكرام ·· الدريهمات ايها السادة ·· للطبل ·· للمزمار أطعموا السلة ···

العلامات افهمها ·· طرفة العين ·· ابتسامة الثغر ·· طقطقة الاصابع ·· كل نقر وكل نقنقة وكل قعقعة وكل لقلقة ··· أشيروا الى آتكم ·· ألب النداء

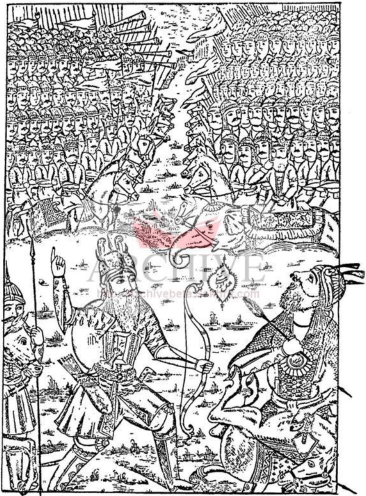
ومن أراد منكم ان يسميني باسمائي ··· فليفعل ···

أسمائي كثيرة ·· تعد بالعشرات ·· بالمئات ·· كلها كنايات ·· كالاهلة كنايات ·· كالحروف كنايات ··· كالاعداد كنايات ·· الاسماء كنايات ايها السادة ··· ألم تروا ان عدد حروف زال ورستم ··· سبعة ··!!

والسماوات سبع ··· النجوم السيارة سبع ··· وطيات الارض سبع واغصان الاسبوع سبعة وفتحات رأسي هذا سبع ايها السادة ···

كل تدابير عالمنا السفلي منوطة بعدد الكواكب ··· ناديتني يا سيد ؟ جازاك الله خيرا عنهم ··· تريد أن تعرف من أنا ؟؟

أنا نجم سيار···كنت فيما مضى ملكا···وكنت داعية وكنت نقيبا وكنت حجة ··· كما كنت ــ غفر الله لي ــ صعلوكا ··· وكنت قينة ــ واحسرتاه ــ



رستم يرمى اسكبوس التورانى فيقتله ، بعد أن رمى فرسه فقتله

[من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥]

اختال بثديين من خالص الصوف ... الثوب ! الثوب ياسادة يصنع من يرتديه والبدرة وصرة الدراهم ... صه ايها المزمار اللعين .. ودعنى اتعشقها مـــن وراء حجاب ... تتثنى كالخريدة فى كيس من حرير ..

واحدة ؟ ولم خلق الله من كل شىء زوجين ؟

زد ثالثة لتكتمل الضلوع والزوايا .. لتيسير الرسم يا سيدى ... لا غير

أراك تخرج رابعة ... زاد الله فى مالك ... المربع شكل جميل ايضا .. شكل التعامد يا سيدى لكنى من الاعداد استحب الفردية .. الخمسة افضل ... يا لك من رجل كريم ـ لكنك تستحب الزوجية .. ؟؟ السادسة لـك يا سيدى ...

اما السابعة فبلغتى ايها الكريم .. لا تكسف بالى فتسوء حالى

لقد برهن هذا الرجل عن ايمانه ...

حيوا معى ابن الحلال ...

والآن وقد تهيأنا للوثبة المباركة .. لنلتحق برستم بن زال دستان بن سام ابن ناريمان ... ابن ايران ...

م. ف. ، و ت. ز.

الدولة الفارسية الأولى في الإسلام "الطاهرية"

بقلم الدكتور المنجي الكعبي

كان فتح العرب لبلاد العجم ، وهي الارض المعروفة قديما بفارس وخراسان وما وراء النهر ، في سنة 30 للهجرة ، في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٠

وكان من الطبيعي أن يترتب على ذلك عدة أمور ، منها : أن يتولى العرب الفاتحون وحدهم أولا ، دون أهل البلاد الاصليين ، حكم العلم الجديد الواقع صلحا او عنوة تحت سلطانهم ، وأن تتأخر كل مشاركة في الحكم بين العرب الفاتحين ومواليهم من الفرس الى ما بعد زمن الفتح بوقت مناسب ، لعدة عوامل واعتبارات دينية وثقافية واجتماعية ، وأن تخضع هذه المشاركة في السلطة الى حتمية الصراع السياسي بين الشعوب ، حتى الشعوب المتآخية دينا ، وذلك لأن التنازع على السلطة مجبول في الطبيعة الانسانية جماعات وافرادا ٠

وعلى ذلك ، فالقول بأن الصراع الذي نشب بين العرب والفرس في تاريخهما الاسلامي الاول ، هو صراع عنصري ، إنما هو زعم باطل ٠ والعنصرية وإن كانت من مركبات هذا الصراع في بعض أطواره ، إلا أن هذا الصراع في جوهره كان صراعا سياسيا كذلك الصراع نفسه الذي كان قائما بين العرب بعضهم وبعض قبل الاسلام وبعده ٠ ومع أن الصراع بين العرب أنفسهم يمثل لنا في التاريخ القديم في شكل عصبيات قبلية متنافرة ، إلا أن هذه العصبيات القبلية لم تكن شيئا في الحقيقة ، وإن كانت قائمة على النسب ، سوى صراع سياسي حزبي ذي أبعاد اجتماعية واقتصادية ، قائم بين تكتلات وأحلاف بشرية لها كيانات خاصة ومصالح مشتركة في صلب أمة واحدة ، هم العرب ٠

فلما ألف الدين الجديد بين العرب والفرس في أمة واحدة كبرى ، كان لا

بد أن تحدث تفاعلات سياسية أخرى داخل المجتمع الاسلامى ، تبرز نتيجتها تكتلات ومحالفات جديدة ، تتدافع فيما بينها فى طريق تحقيق الصالح العام لدولة الخلافة • وكانت كل من هذه التيارات الاجتماعية المتـدافعة تصدر فى حركتها السياسية عن مفاهيم أو دعوات مذهبية اعتقادية ، هذه الدعوات كانت تتقاذف فى سبيل تحقيق وجودها الخاص وانتصارهـا الـواحدة على حسـاب الاخرى بتهمة مزدوجة هى المروق الدينى المنكر والشعوبية البغيضة •

ومع ذلك فقد كانت حركة الصراع المستمر ، وانتقال مراكـز القـوة بين الاطراف المتنازعة ، وتعاقب الادوار الطبيعية فى تداول السلطة ــ كل هـذه الامور كانت تفضى بصورة حتمية الى انقلابات دورية فى الحيـاة السيـاسية للعالم الاسلامى • وبديهى أن الصراع فى مختلف أشكاله لازمة حياتية محركة لا يتم بدونها النمو الحضارى لمجتمع من المجتمعات •

وكان حدوث الانقلابات السياسية الخطيرة يقـدر ، بحسب امكاناتهـا فى الزمن القديم بنسبة واحد فى كل مائة سنة ، وهـو معـدل ثـلاثة أو أربعـة اجيال • وعلى ذلك فخالى الذهن تماما من تاريخ العرب والفرس فى ايران منذ الفتح ، يمكن له استنادا الى ما تقدم ، مع عدة اعتبارات أخرى معروفة تتعلق بطبيعة الفتح الاسلامى وما ينجر عنه بالضرورة من تغييرات جذرية فى علاقات الشعبين العربى والفارسى على مستويـات الحيـاة الاجتمـاعية والاقتصـادية والفكرية ــ يمكن له أن يقدر أبعاد التطورات السياسية ومـراحلها التقريبية المنتظرة بعد الفتح •

لا جرم أن يرى الفاتحون الأوائل أحق من غيرهم بالتفرد بزمام السلطة فى الأرض الجديدة التى نشروا فيها راية الدين وقد تحملوا الجهاد فى سبيله • ولا شك أن كل من عاصرهم من الفرس المسلمين سيلوذون بهـم ولاء فيهـم وخدمة لهم وقدوة بهم وتخرجا فى لسانهم العربى المبين الذى نزل به القرآن الكـريم •

ويعقب هذا الجيل الاول جيل ثان متكون من أبناء الفاتحين مع أبناء الموالى الفرس المشاركين فى الفتوحات الاولى ، فيكون حرص الاولين على توطيد ملك آبائهم حافزا لهم ، ليس فقط على الاستمساك بالسلطة بل بتوريثها فى عقبهم ، بينما تقوم الرغبة ملحة فى نفوس الآخرين للمشاركة بنصيب وافر فى الحكم ، لقيام شروطه فيهم ووصلا لتليد ما كان لأجدادهم من سابق السيادة قبل الاسلام•

فيكون الشد والارخاء فى حبل السياسة هو الديدن مدة بين هؤلاء وأولئك تجنبا للقطيعة وتحقيقا للمراضاة المتبادلة وخاصة للوقوف صفا فى وجه العناصر المناوئة للحكم ٠

لكن العناصر المناوئة ، الداخلية منها فى الامة ، المضروبة على يدها سياسيا ، من طبيعتها أن تستغل هذا التوازن الخطير فى الدولة متى لاح ، لتلعب لعبتها وتجعل الكفة ترجح فى جانبها ٠ فتسعى المعارضة عندئذ لتنظيم صفوفها فى دعوة جماهيرية ذات شعار موعد خلاب ، وتتحرك فى البدء فى طى السرية ريثما تستهوى ، فضلا عن مزيد من الناقمين العاديين ، جانبا من غير الراضين بما قسم لهم من السلطة فى الدولة القائمة ـ تستهويهم المعارضة بالاسهام فى قيادتها لتحقيق مجتمع أفضل ٠

ثم يتبلور السخط السياسى لدى الجيل اللاحق ، الذى يتولى الاصداع بالدعوة ، وهو جيل أبناء تابعى الفاتحين من عرب وفرس ، وهو جيل النابتة والمولدين الذين أصبح من الصعب التمييز بين عروبيتهم وفارسيتهم ، لما وقع من التمازج الاجتماعى والثقافى فى عناصرهم الاولى ٠ هذا الجيل هو جيل الدعوة العباسية فى خراسان والعراق ، وكانت قيادته عربية او كالعربية وجماهيره فى أكثرها فارسية مولدة للجغرافية البشرية المكونة لهذه المنطقة ٠

وهكذا يكون قد تحقق انقلاب سياسى خطير فى الدولة الاسلامية بعد نحو مائة سنة من فتح بلاد فارس ٠

غير أن الثورة العباسية كان يجب أن تجابه بعد انتصارها تجربة الحكم القاسية ٠ وهنا كان لا بد أن تنكشف مع الايام بذور الضعف فيها ، وبالتالى دواعى الانقلاب عليها ٠ ويتمثل ضعفها ، فى قلة توفيقها ، كأية ثورة أخرى ، فى الملاءمة عند التطبيق بين مقتضيات السلطة وقسرية الواقع من ناحية وبين المبادىء المثالية التى كانت تدعو لها وآمنت بها جماهيرها ٠

وهنا لا تلبث القطيعة طويلا حتى تحدث بين رجال الدولة العباسية وبين جانب عظيم من جماهيرها ٠ وتأخذ بطبيعة الحال دورة جديدة فى التكوين فى الحياة السياسية للامة ٠ ويحقق الجيل الاول فى هذه الدورة تعاطفا بين العامة المخيبة الظن والأمل وبين الخاصة المعزولة أو القيادات المبخوسة الحق فى الحكومة القائمة ، وتنصرف عناية الجيل التالى بالبحث عن نظرية سياسية جديدة للحكم وبث الوعى بها ٠ ولا بد أن تستفيد هذه النظرية من التجارب

السابقة وبخاصة من حال انقسام الدولة الاسلامية الى اكثر من خلافة وغلبة نزعة توريث الحكم لدى الولاة قياسا على أسرة الخلافة وقيام الدواعى الملحة للتخفيف من مركزية الحكم ٠

كل هذه الامور كان من شأنها أن تقوى التفاف الجيل الثالث فى أقاليم الخلافة العباسية نحو الزعماء المحليين الذين يرى صلاحهم وتأبى الدولة المركزية فى العراق أن تعترف بهم لاعتبارات سياسية أقلها أن لا يرى الخليفة مضطرا للاقرار بالامر الواقع ٠ ويوافق هذا الجيل خلافة الرشيد ونزاع الامين والمأمون على الخلافة ٠ وكان يبدو ما أصبحت عليه بغداد من قصور عن مواجهة الثورات القائمة على جبهات متعددة ضد ولاتها فى خراسان وفى الجزيرة وفى مصر وفى افريقية والمغرب ٠

ويمكن ان نفسر الذى حدث فى عهد الرشيد بأنه محاولة موفقة الى حد ما لمعالجة الوضع المتفجر فى دولته ٠ فمعلوم أنه منح الاغالبة فى افريقية والمغرب امارة عباسية مستقلة ، وضرب من جهة أخرى على ايدى البرامكة فى العراق وخراسان وقد كادوا يحدثون هناك دويلة عباسية مستقلة ايضا ٠

وقد يكون ذلك لان الظروف قد تهيأت لاستقلال افريقية دون تخلف ، فلئن قامت بها أسرة موالية للخلافة العباسية كان ذلك أفضل من أن تقوم بها دولة مناوئة لها٠ لكن الوضع بالنسبة لخراسان كان مخالفا لافريقية التى كان بعدها عن بغداد حائلا دون مشاركتها بصورة فعالة فى شؤون الخلافة٠وكان على الخلافة فيما يبدو أن تغالب ، خاصة وقد اطمأنت على مصير افريقية واستجمعت جيوشها المحاربة ــ أن تغالب انفصال ولاية خراسان عن العراق ، ولو فى حركة استقلالية موالية للخلافة ، وذلك لان خراسان كانت فى الحقيقة تعتبر مع العراق الاقليم الرئيسى فى الدولة العباسية ، فقد كان كلاهما من قديم مؤثرا فى الآخر ، وكان يبدو مستحيلا أن تضمن الخلافة بقاءها اذا فقدت اشرافها الفعال على أحدهما ٠ ولذلك اختلت خلافة الامين وسقطت حين فقد مباشرته للسلطة فى خراسان ، ولذلك أيضا اختلت خلافة المأمون وكادت تسقط حين أنذر العراق بالخروج عن طاعته اذا لم ينتقل اليه بكرسى ملكه كآبائه الاولين ٠

ولكن الجيل المعاصر للمأمون من الخراسانيين كانت قد توطنت فى نفوسهم ، طوال اربع سنوات من النزاع بين الأخوين ، على استقلال اقليمهم عن العراق٠

فماذا فعل المأمون ليبقى على تبعية الاقليمين أحدهما للآخر ويرضى فى الوقت نفسه النزعة الاستقلالية عند الفرس ؟

سنجد الاجابة على هذا السؤال فى هذا العرض الموجز الذى نقدمه عن الدولة الطاهرية ، التى لم يفسر ظهورها قبل بمثل هذا التفسير والتى كان يعتقد وهما وغلطا انها قامت دون رغبة المأمون فى خراسان ٠

الطاهريون نسبة الى طاهر بن الحسين ، قائد المأمون ٠ ويقال لابناء طاهر آل مصعب أحيانا ، نسبة الى جدهم مصعب بن رزيق ، وذلك مراعاة لمشاركة أبناء عمهم معهم فى الحكم ، وأولهم فى ذلك اسحق بن ابراهيم بن مصعب ، الا انه يطلق على جميعهم فى الغالب آل طاهر للشهرة ٠ ينحدر طاهر بن الحسين مؤسس الدولة من اسرة فارسية عربية بالولاء فى خزاعة ٠ وكان لآبائه فى الاسلام سابقة فى الرئاسة والعلم والادب ٠ وكان جده مصعب من نقباء الدعوة الهاشمية بخراسان ٠ وكان أبوه من ولاة بنى العباس ٠ ظهر طاهر اول ماظهر بصورة بارزة فى سنة ١٩٤هـ٠ فى الفتنة على الخلافة بين الامين والمأمون٠ وكان المأمون عين طاهرا آنذاك قائدا على جيشه لحرب على بن ماهان قائد الامين ، فانتصر طاهر فى المعركة انتصارا باهرا نال عليه من المأمون لقبه ذا اليمينين ، وذلك لان النصر كان فيما قيل بضربة قاضية بسيفه وجهها بكلتا يديه لاحد قادة الاعداء ، وكان طاهر أعور ، قال أحد شعرائه فى ذلك :

يا ذا اليمينين وعين واحده ‏ ‏ ‏ نقصان عين ويمين زائده

ومضى طاهر فى زحفه من خراسان الى العراق حتى فتح بغداد وقتل الامين وبايع بالخلافة للمأمون وهو بمرو ، وكان ذلك فى سنة ١٩٨ هـ٠

وكان طاهر يحلم من أول أمره بوراثة آبائه فى الحكم على بلدته بوشنج فاصبح بانتصاراته العظيمة حقيقا بالولاية على خراسان كلها ٠ وكان ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون والغالب على سياسته يحاول منذ أن سطع نجم طاهر أن يغير صدر الخليفة عليه ويقصيه عن السلطة لكى لا ينافس آل طاهر آل سهل فى الحظوة عند المأمون ٠ فجعل الفضل يدبر لذلك بما يستغله من تخوف المأمون من أن يعيد طاهر الى الاذهان ذكرى خلاف أبى مسلم الخراسانى مع أبى جعفر المنصور ، وأنه ربما حدث أمر تكون فيه نفس طاهر أقرب الى الخلاف ويجد انه بين أهله ومواليه الخزاعيين وقومه الفرس ، فيخرج بخراسان ويخلع ويتهدد المملكة ٠ وانتهى الفضل بتدبيره الى أن أبعد ذا اليمينين عن خراسان والعراق وأخرجه لقتال بعض الثائرين بالجزيرة ٠

فعظم ذلك على طاهر دون ان يورث فى نفسه هذا الامر الا الالتزام بالطاعة للمأمون وتنفيذ أوامره على علاتها ، يريد بذلك فيما يبدو أن يحبط عمل الفضل بن سهل ويبلغ الغاية فى الاخلاص للمأمون ٠

وأصبح ذو اليمينين فى سنة 198 بالرقة بارض الجزيرة ، وظل لا ينتظر هناك الا تحول الظروف فى صالحه ٠ وذلك أن أهل العراق لم يلبثوا طويلا حتى خلعوا بيعة المأمون استنكارا على سياسة الفضل بن سهل ٠ وكان مما سخطوا عليه اخراجه طاهرا من العراق ٠ فلما عزم المأمون على تغيير سياسته التى اتبعها وقتيا فيما يبدو للتغلب على الامين ولتدعيم خلافته بعيد ذلك ، كان عليه أن يتخلص من رجال سياسته القديمة ، وأن يعود بمركز الخلافة الى بغداد ارضاء للعراقيين وأن يقرب طاهر بن الحسين منه ٠ وعلى ذلك فلم يكد المأمون يصل الى العراق متحولا من مرو بخراسان حتى قتل الفضل بن سهل ، وقتل جميع المورطين فى قضيته وعلى رأسهم على الرضا ، الذى كان المأمون ولاه العهد تحببا الى الشيعة ٠ ثم دعا المأمون بعيد ذلك طاهرا من الجزيرة وأقدمه معه بغداد ، فولاه الشرطة ، وهى أهم ما يولى يومئذ بدار الخلافة ، وقلده معها امارة المغرب ٠ ولما تم للمأمون بعد قليل من ذلك عزل جميع قرابة الفضل بن سهل عن الحكم بالعراق وخراسان ، قلد طاهرا المشرق كله وذلك بالعقد له على ولاية خراسان فى سنة 205 هـ٠ واستخلف ابنه عبد الله بن طاهر على الشرطة وولاية الجزيرة والشام ومصر الى حدود برقة٠

وتجلت منذ ذلك الحين سياسة المأمون فى أن يصطنع من آل طاهر رجال حكمه الجدد ٠ ولكى يضمن المأمون وحدة دولته لم يرد ، فيما يتبين لنا ، أن يقسم على أبناء طاهر الولايات ، وانما جعل بعضهم نوابا لبعض ورئيس بيتهم هو سيدهم واميرهم ٠ وكانت وحدة الخلافة العباسية تقوم اساسا على ارتباط العراق وخراسان ووقوع هذين الاقليمين تحت حكم واحد ، كما بينا سابقا٠ ولكى يحذر المأمون انشقاق ولاية خراسان عن الدولة ـ وكان اول من هدد بخروجها فى خلافة أخيه ـ جعل صاحب الشرطة ببغداد ، وهو بمثابة والى العراق قديما ، نائبا لوالى خراسان ، وجميعهما من آل طاهر ٠ وذلك ليكون الطاهرى الذى بقبل الخليفة ببغداد رهينة للطاهرى المقيم بخراسان ، وليكون عامل القرابة ونظام توارث الحكم فى هذه الاسرة عاملا على وحدة الاقليمين وضامنا لاستقرارهما وازدهارهما ٠

واجتمع للطاهريين بذلك حكم المشرق والمغرب من فرغانة الى برقة نحو عقدين من الزمان ، ثم اقتصر حكمهم على الولاية الوراثية بخراسان والشرطة

بالعراق • وكان الامير الطاهرى صاحب الشرطة من المكانة بحيث ينوب الخليفة عند تغيبه عن دار الخلافة • واستقام الامر للطاهريين على هذه الحال من بداية القرن الثالث الى الثلث الاخير منه • وتوالى اربعة امراء منهم بخراسان ، وكانت عاصمتهم بها نيسابور ، وتعاقب عشرة آخرون من اخوانهم وابناء عمهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب على حكم العراق كأصحاب الشرطة ، وكانوا كما ذكرنا نوابا عن أمراء خراسان وواقعين تحت اشراف الخليفة •

وعاشت الدولة الطاهرية ما التزم خلفاء المأمون بسياسته تجاه بعى طاهر ، فلما اختل نظام توارث الحكم في هذه الاسرة ذات الشعبتين بسوء تصرف بعض الخلفاء ، سقطت تحت ضربات أعدائها وانقرضت دولتهم • وكانت الطاهرية مع ذلك في حروب سجال مع الطالبيين والخوارج وملوك العجم فى الاطراف ، ثم غلب قادة الترك بدار الخلافة على أمرائهم أصحاب الشرطة ، وأراد الصفاريون وكانوا عمالا للطاهريين فى سجستان أن يفرضوا دولة كدولة آل طاهر على الخلافة ، لكنهم لم يلبثوا الا بضع سنين ، وقضى عليهم السامانيون ، فى أوائل الثلث الاخير من القرن الثالث • وكان السامانيون من ولاة الطاهرية على ما وراء النهر ، فوجدت الخلافة العباسية فى السامانية وريثا شرعيا للطاهرية ، فملكتهم على ما وراء النهر وعلى ملك الطاهرية بخراسان •

اذن ، فالطاهرية دولة فارسية الاصل ، عربية بالولاء ، حكمت خراسان والعراق بتقليد من الخلافة العباسية طوال ثلاثة ارباع القرن الثالث الهجرى تقريبا ابتداء من اوله • ويتمثل حكمها فى خراسان بالولاية الوراثية على هذا الاقليم الشاسع من آسيا الوسطى وما يتصل به من اراضى الخلافة فى المشرق ، ويتمثل حكمها الوراثى ايضا فى العراق بتقلد مهام الشرطة ببغداد ، وهو ما كان يقابل الولاية على العراق قديما قبل ان يصبح هذا الاقليم مركزا للخلافة • وعلى ذلك تعد الطاهرية اول دولة من نوعها قامت فى ايران فى العهد الاسلامى ، وهى على شبهها بالدولة الاغلبية بافريقية تتميز عنها بما كان يتسم به حكمها من نزعة فارسية معتدلة وبتدخلها المباشر فى شؤون الخلافة • وعلى ذلك ايضا فالطاهرية تختلف تماما عن الدول المنقطعة عن الخلافة العباسية كالادارسة بالمغرب وغيرهم ، وتختلف ايضا شيئا ما عن الدول التى قامت على انقاضها وكانت تابعة اسميا فقط للخلافة كالسامانية والغزنوية وغيرهما •

ومعلوم أن اللغة الفارسية الحديثة ، المستعربة فى كثير من جوانبها الكتابية واللغوية ، كانت قد بدأت تتدرج فى أواخر حكم الطاهريين للظهور بجانب العربية فى المجالين الادبى والرسمى بخراسان ، وانما ذلك كان نتيجة فى الاكثر لقلة من أصبح من حكام هذه الولاية من العرب او مواليهم المستعربين عن قدمة كآل طاهر • وكان جل أمراء الطاهرية شعراء وكتابا بالعربية وحدها ، ولم يؤثر عن أحدهم انتاج بالفارسية ، الا ان أحد المتأخرين ، هو أبو الطيب الطاهرى ، وكان شاعرا وأدرك الدولة السامانية وريثة دولة آبائه ، كان يقرض الشعر باللسانين العربى والفارسى ، فلربما كان أبر شعراء خراسان الذين دفعوا بالشعر الفارسى الاسلامى دفعا الى أن يتخذ موازينه فى العروض العربى •

* * *

كان طاهر بن الحسين شاعرا ، ومن مختار شعره قوله من قصيدة :

إنا أناس لنا صنائعنا ... فى العرب معروفة وفى العجم

مغتنمو كسب محمدة ... والكسب للحمد غير مغتنم

وقال ، من وصيته لابنه عبد الله وقد تولى الحكم : « إياك أن تقول إنى مسلط أفعل ما أشاء ، فان ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى وقلة اليقين بالله •• »

وقال فيها : « واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تثمر ، واذا كانت فى إصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وربت » •

وقال ايضا : « وتفقد امور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم معايشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك امرهم ويزيد به قلوبهم فى طاعتك خلوصا وانشراحا » •

وقال له فيها ايضا : « وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله سعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغارا ، فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه وعن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن امرءا فيه شططا •• »

وطاهر بن الحسين هو الذى قال يوما : « لا بد من قطع الأواصر والتنكر للأقارب فى تأكيد الخلافة والقيام بحق الطاعة » •

ومما قيل في مدحه قول مسلم بن الوليد ، صريع الغواني :

أقمت خلافة وأزلت أخرى ... جليل ما أقمت وما أزلت

وقال بعض شعرائه في خراسان يرثيه :

فلئن كان للمنية رهنا ... ان افعاله لرهن الحياة
ولقد اوجب الزكاة على قو ... م وقد كان عيشهم بالزكاة

وكان عبد الله بن طاهر شاعرا مجيدا ، قال وهو خارج من بغداد الى مصر ليحارب عبيد بن السرى الثائر :

بكرت تسبل دمعا ... إذ رأت وشك براحي
وتبدلت صقيلا ... يمنيا بوشاحي
وتماديت بسير ... لغدو ورواح
زعمت جهلا بأني ... تعب غير مراح
اقصرى عني فاني ... سالك قصد فلاحي
أنا للمأمون عبد ... منه في ظل جناح
إن يعاف الله يوما ... فقريب مستراحي
أويك هلك فقولي ... بعويل وصياح
حل في مصر قتيل ... ودعي عنك التلاحي

وعبد الله هذا هو الذى قال يصف سعة نفوذه ويعدد ما جمع له المأمون من الولايات : « لي خاتم بفرغانة وآخر ببرقة ، وحكمي وأمري ونهيي جائز بين هذين الطرفين ، وقد جمع لي من العمل ما لم يجمع لأحد قط من ولاية المشرق والمغرب والشرطة » .

ولما توفي عبد الله بن طاهر سنة 230 هـ بعد ولاية دامت ثلاثا وعشرين سنة ، قال اسحق الموصلي يعزى الامير اسحق بن ابراهيم بوفاة عبد الله :

لم تصب أيها الأمير بعبد الله ... ـه لكن به أصيب الانام
فسيكفيكم البكاء عليه ... أعين المسلمين والاسلام

ومن روائع ما سجله التاريخ من مآثر هذا الامير الطاهرى العظيم ترميمه ، لما كان بالشام ، للمسجد الاقصى ، واقامة رواقه على اعمدة رخام ، كما ذكر ذلك في أحسن التقاسيم .

م . ك .

يادكار

شعر: منور صمادح

- للشاعر الفارسي أبى جعفر الرودكى القرن الرابع ه.
- نقلها إلى العربية الدكتور على الشابى
- رؤيا جديدة وترجمة أدبية للشاعر منور صمادح

قد خبا ضوء المصابيح ببابى   وانطوت صفحة عمرى فى الكتاب
من ترى ايقظ اسباب الهوى   فى فؤاد نام عن كل جواب
عادنى فيك قد كان لى   حبذا لقياه من بعد الغياب
خلتنى انت كما اعرفنى   مشرق الطلعة لماع الاهاب
أجتلى فيك شبابا ذاهبا   فاغتنمه قبل ميعاد الذهاب
خلنى الثم خدودا وردها   قد سقاه من دمى عشق الكعاب
هذه الدنيا ولا ندرى بها   لم تزل فيها على غير اكتئاب
مثل عين ضربت فى قفرها   تنشد البحر الى غير اياب
رب خصب كان جدبا ماحلا   وصحارى اخصبت بعد الخراب
كم قديم جد من بعد البلى   وجديد رث فارفق بالثياب
أيها التائه بالحسن ويا   منتش زهوا وقد عز شرابى
كان لى فى الناس حسن غامر   يصنع العشق ويودى بالصواب

كان ضيفا عز عندى حبه　　وتعلقت به دون الصحاب
فهو فى وجهى ابتسام ورضا　　فلقة من قمر اثر سحاب
وهو فى الغيد صبابات بما　　صفقته فى صوت هند ورباب
كان ضيفا زمنا ثم مضى　　آه لو ترجع أيام الشباب
وجميل من ظبا الترك غدا　　مؤنسى والليل مسدول الحجاب
شخصت عيناى فى نظرته　　بابلى السحر معسول الرضاب
وزمان قصرت افراحه　　طول إشفاقى عليه وارتيابى

* * *

كان فى قلبى كون طافح　　من كنوز الفن من سحر الخطاب
كان دنيا الشعر فاضت بالمنى　　بالاغانى والمسرات العذاب
لو ترانى عندما كنت فتى　　صادق الغيمة مفتر السحاب
لقرأت الحب فى سفر الهوى　　وترشفت من السحر المذاب
فاحذرن يوما به تذكرنى　　وتلاقى ما ألاقى من عذاب !

م. ص.

صمم العناوين والغلاف الخطاط الحبيب بن عياد

الربيع

للشاعر الفارسي ابي عبدالله جعفر الرودكي ت 325 هـ

ترجمة : علي البناي

حل الربيع السعيد باللون والرائحة مع مائة ألف نزهة وزينة عجيبة .
ربما صار العجوز شابا ، وتجدد شباب الدنيا بعد المشيب .
فالفلك الكبير قد كون جيشا هو السحاب المظلم وقائده ريح الصبا .
لكأن البرق المعن قاذف .. وصوت الرعد طبل ، إني شاهدت في حياتي ألوفا من الحيل لكن ما رأيتها مهيبة هكذا .
انظر الى ذلك السحاب الذي يبكي وكأنه رجل حزين ، وانظر الى ذلك الرعد الذي ينوح وكأنه عاشق معمود .
فالشمس المختفية تحت السحاب كالشخص المحصور في قلعة يظهر بين الفينة والاخرى .
كانت الحياة عليلة مدة من الزمن فصحت لأن الهواء الذي كان لها طبيبا افعمها بشذى الياسمين .
امطرت الامطار المسكينة مرة بعد اخرى واتخذت من البرد حلة من القصب المزركش .
الرعد وسط الصحراء يحرك الربيع والبرق بين السحاب يسحب القضيب .. واللعل بين الزرع يضحك من بعيد كقبضة عروس مخضبة بالحناء .
والبلبل ينشد على فرع الصفصاف والسار يجيبه من فوق شجرة السرو .
والصلاصل على جذع السرو يشدو بلحنه المعتق والبلبل على غصن الورد يتغنى بلحنه اللطيف الغريب .
الآن احتسوا الخمر .. الآن اسعدوا ،،، ففي هذه الآونة يحمل الحبيب نصيبه من صدر حبيبه .
أيها الساقي اختر الخمر واحتسيها على وقع الزير فالسار والعندليب ينوحان .. ولو أن الربيع الجديد دنيا في العين اللطيفة فان لقاء ذلك السيد الكريم أجمل منها .

ع. ش.